

النبوة في الفكر الحداثي محمد أركون أنموذجاً

" دراسة تحليلية نقدية "

إعداد

د/ هبة الله علي السيد أحمد

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة



قال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى
ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

سورة التوبة آية ٣٢.



النبوة في الفكر الحداثي محمد أركون أنموذجاً

دراسة تحليلية نقدية

هبة الله علي السيد أحمد

قسم العقيدة والفلسفة - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة - جامعة الأزهر -مصر.

البريد الإلكتروني: Hebat-AllahAhmed.57@azhar.edu.eg

الملخص:

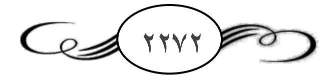
هذا البحث في الفكر الإسلامي المعاصر هو محاولة لنقد بعض المشروعات الفكرية الداعية إلى أنسنة الدين والثورة على التراث الديني وعلى الثابت الموروث من المبادئ والقيم الأخلاقية، ونقد النصوص الدينية وإعادة تأويلها تأويلًا يتفق مع العقل والواقع.

وتحمل هذه الدعاوى تأثرًا واضحًا ببعض الدعوات الفلسفية الغربية الحديثة التى تتبنى قواعد الهرمنيوطيقا التي تسعى إلى تحويل" الثيولوجي " أي الإلهي " إلى أنثربولوجي " مما يؤدي إلى إزالة القدسية عن النص الإلهي وإلباس القدسية للإنسان وآرائه وظروفه، وهذا لا شك يؤدي في النهاية إلى نبذ الوحي والتخلي عنه.

ومن أخطر هذه المشروعات الفكرية المشروع الأركوني الذى أعطى السلطة المطلقة والمرجعية الدائمة للعقل في معرفة الأمور ونادى بأنسنة الوحي والقول ببشريته.

ويهدف هذا البحث إلى عرض رأي أركون من أنسنة الوحي وأنسنة النص ووضع ذلك في ميزان النقد العلمي الإسلامي، ثم إثبات إمكان الوحي ووقوعه بالأدلة العلمية الحديثة للرد على أركون ومن سار على نهجه في إنكار الوحي وتعاظم وقوعه.

الكلمات المفتاحية: الحداثة ، مابعد الحداثة ، أركون ، أنسنة الوحي ، التفكيك الحداثي للوحي.



Prophethood in modernist thought, the model of Muhammad Arkoun

Critical Analytical Study

Heba Allah Ali Elsayed Ahmed

Department of Creed and Philosophy – College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Cairo – Al-Azhar University – Egypt.

Email: Hebat-AllahAhmed.57@azhar.edu.eg

Abstract:

This research in contemporary Islamic thought is an attempt to criticize some intellectual projects calling for the humanization of religion and the revolution against religious heritage and the inherited constant of moral principles and values, and to criticize religious texts and reinterpret them in an interpretation that is consistent with reason and reality.

These claims are clearly influenced by some modern Western philosophical calls that adopt the rules of hermeneutics that seek to transform the “theological” meaning the divine into an anthropological one, which leads to the removal of sacredness from the divine text and to the sacredness of man, his opinions and circumstances, and this undoubtedly leads in the end to the rejection of revelation and abandon it.



Among the most dangerous of these intellectual projects is the Arkoni project, which gave absolute authority and permanent reference to the mind in knowing things and called for the humanization of revelation and the saying of its humanity.

This research aims to present Arkoun's opinion on the humanization of revelation and the humanization of the text and put that in the balance of Islamic scientific criticism, and then prove the possibility of revelation and its occurrence with modern scientific evidence to respond to Arkoun and those who followed his approach in denying the revelation and its increasing occurrence.

Keywords:

modernity, postmodernism, Arkoun, humanization of revelation, modernist deconstruction of revelation.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يجب لعظيم مجده وجلاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، **أما بعد**،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد (ﷺ) وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد،،

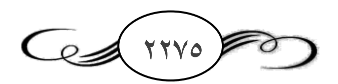
فإن النبوة هي الأساس الأول والركيزة الكبرى التي قامت عليها الأديان السماوية وعليها أقام الله – سبحانه وتعالى – صرح دينه، وبها ربط مصائر عباده في الدنيا والأخرة، وأساس النبوة هو الوحي فهو الصلة بين الله – تعالى – وبين رسله وأنبيائه، لأن كل ما أخبر به الأنبياء إنما جاء عن طريق الوحي والإلهام ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [1].

فعلى وحي النبوة وإلهاماتها تقوم ركائز كل دين، لذا كانت قضية الوحي من أهم القضايا التي أثير حولها موجة من الشك والإنكار، لأن إثباتها يدعم الدين ونفيها يقوض الدين.

وقد أجمعت الشرائع على وقوع الوحي من الله – تعالى – وجعله واسطة بينه وبين عباده فمن ينكر الوحي ولا يسلم بوقوعه يهدم الدين في أساسه ويطعنه في دعامته الأولى وعماده المتين وإن ممن صمت آذانهم وعميت أبصارهم تجاه حقيقة وقوع الوحي هؤلاء الذين يسمون بأصحاب الفكر الحداثي الذين عمدوا إلى التشكيك في الوحي ومصدره واستبعاد مفهوم القداسة في التعامل مع نصوص الوحي، وأنسنة الدين والثورة على التراث الديني، وعلى الثابت الموروث من المبادئ والقيم الأخلاقية، ونقد النصوص الدينية وإعادة تأويلها تأويلًا يتفق من

---

١ - سورة النجم آية٣، ٤.



وجهة نظرهم القاصرة مع العصر والواقع، ويتناسب مع الأفكار الحداثية، وسيادة العقل في فهم النصوص الدينية، وتطبيق المناهج النقدية الأدبية على النصوص المقدسة، وباتوا يؤصلون لمشروعاتهم النقدية، ليس لنقد مذهب أو فكرة، بل لنقد العقل الإسلامي بصفة عامة فأدى بهم هذا إلى إنكار العقائد الإيمانية، ومنها النبوة والوحي والقول ببشريته ولم يكتفوا بذلك بل أنكروا الذات الإلهية واعتبروها أسطورة خيالية.

ومن بين الحداثيين العرب وأبرزهم جرأة على كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) الذي أعطى السلطة المطلقة والمرجعية الدائمة للعقل في معرفة الأمور ونادى بأنسنة الوحي **المفكر الجزائري محمد أركون.**

زاعمًا أن الوحي الإلهي إنما هو نصوص بشرية أو بغض النظر عن مصدرها هي نصوص مطلقة عن المعاني، ولذلك فإن بإمكان أي شخص أن يفهمها أو يفسرها على النحو الذي يراه منسجما مع ظروفه وآرائه، وتحمل هذه الدعاوي تأثرًا واضحًا ببعض الدعوات الفلسفية الغربية الحديثة التي تتبنى قواعد الهرمونوطيقا التي تسعى إلى تحويل الثيولوجي " أي الإلهي " إلى أنتربولوجي أي " بشري " مما يؤدي إلى إزالة القدسية عن النص الإلهي وإلباس القدسية للإنسان وآرائه وظروفه وتوجهاته وهذا لا شك يؤدي في النهاية إلى نبذ الوحي والتخلي عنه.

هذا وقد ظل الوحي نقطة مركزية تتمحور حولها مجهودات أركون حيث انصب الفكر الأركوني من خلال مشروعه " الإسلاميات التطبيقية " على نقد العقل الإسلامي، ولقد اختار أركون هذا العقل دون غيره من العقول كالعقل المسيحي أو اليهودي مثلًا !! لأنه أراد نقد الطريقة اللاهوتية التي يشغل بها هذا العقل، بصفته ينطلق من معطيات الوحي أو من " الوحي المعطى " على حد تعبيره.



وإذا كان أركون يبتدئ مشروعه باستعراض التراث الإسلامي وما يقوله عن الوحي : فعن أي وحي يتحدث ؟ وهل طال بنقده النص القرآني، وهل يصدع بأمر الوحي أو يخضعه لآلته النقدية التفكيكية ؟.

وإلى أي مدى تأثر فكر محمد أركون بالمناهج الغربية ؟ وما هو القالب الجديد الذي صاغه لمفهوم الوحي ودعاه إلى القول بأنسنته ؟ وكيف ميز بينه وبين كلام الله المحفوظ ؟ وكيف طبق أركون مناهج الحداثة وما بعدها على القرآن الكريم ؟ وما هي أهم النتائج التي توصل إليها من خلال مشروعه النقدي ؟ وما مدى موافقة أو مخالفة الفكر الأركوني للإسلام ؟.

لذا تم اختيار هذا البحث الموسوم بـــ " **النبوة في الفكر الحداثي محمد أركون أنموذجاً دراسة تحليلية نقدية** " ولقد حاول البحث الإجابة على هذه التساؤلات والالتزام بروح الموضوعية في التعامل مع نصوص أركون، فرجعت إلى كتبه خاصة المترجم منها، وركزت على ما ترجمه هاشم صالح، الذي ارتبط اسمه باسم أركون من خلال ترجماته، ومقالاته المتعددة والشارحة لفكر أركون.

خطة البحث :

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة : **وفيها بيان أهمية البحث وأهدافه وخطته**.

الفصل الأول : **الحداثة وما بعد الحداثة وفيه مبحثان** :

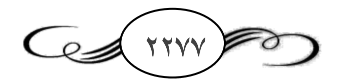
المبحث الأول : الحداثة وما بعدها مفهومًا ونشأة.

المبحث الثاني : محمد أركون النشأة والمنهج.

الفصل الثاني : **النبوة في الفكر الأركوني وفيه تمهيد وخمسة مباحث** :

المبحث الأول : أنسنة الوحي عند محمد أركون.

المبحث الثاني : الوحي عند الفلاسفة المحدثين.



المبحث الثالث :التأثير الاستشراقي في الفكر الأركوني في قضية الوحي.

المبحث الرابع : شبهات الحداثين وغيرهم حول الوحي الإسلامي والرد عليها.

المبحث الخامس : المشروع الأركوني في ميزان الإسلام.

الفصل الثالث : **الوحي في الإسلام** :

المبحث الأول : تعريف الوحي وأنواعه.

المبحث الثاني : آراء العلماء حول إمكان الوحي ووقوعه.

أولًا : رأي جمهور المتكلمين.

ثانياً : رأي فلاسفة الإسلام.

المبحث الثالث : الأدلة العلمية الحديثة على إمكان الوحي.

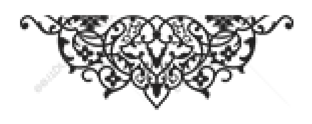
الخاتمة : **وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته**.

المراجع.

الفهرس.

والله أسأل التوفيق والسداد.

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





الفصل الأول

الحداثة وما بعد الحداثة

المبحث الأول

الحداثة وما بعدها مفهوماً ونشأة

لو أجرى بحث عن أكثر المفاهيم استخدامًا في الدراسات الفلسفية في الوقت الحالي فلربما جاء مفهوم " حداثة " في طليعتها أو بين المفاهيم الخمسة (٢) أو العشرة التي تعتلي القائمة ومع مفهوم حداثة تأتي لاحقتها أو ملازمتها الما بعدية ما بعد الحداثة.

أما عن المفهوم الأول " الحداثة "

فالحداثة في اللغة :

مشتقة من الفعل حدث وهي تطلق في اللغة على عدة معان منها :

١- كثرة الحديث والكلام يقال : رَجُلٌ حَدِثٌ وحَدْثٌ وحِدِّيثٌ ومُحَدِّثٌ وذو حداثة، أي كثيرُ الحَديثِ، حَسَنُ السِّياق لَه، ويقال صار فلان أُحْدوُثة أي أكثروا فيه الأحاديث (٣).

٢- الجديد من الأشياء فهي نقيض القديم (٤) " يقال حدث الشيء يحدث حدوثًا وحداثة، وأحدثه هو، فهو محدث وحديث أي جديد وكذلك استحدثه، لأن الحاء والدال والثاء أصل واحد وهو كون الشيء لم يكن، يقال حدث أمر بعد أن لم يكن، والحدث : الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد، ولا معروف في السنة، ومحدثات الأمور : ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها، وفي الحديث " إياكم ومحدثات

---

٢ - مثل التجديد، الديمقراطية، التنوير، الإسلاموفوبيا، الإلحاد.

٣- لسان العرب لابن منظور الجزء الثاني ص١٣٣، ١٣٤ ، كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي ج٣ ص١٧٧.

٤ - المعجم الفلسفي جميل صليبا ج٢ ص٤٥٤، ٤٥٥ دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.



الأمور " [٥] جمع محدثة بالفتح، وهي مالم يكن معروفًا في كتاب، ولا سنة ولا إجماع [٦].

وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [٧].

٣- تعني الحداثة كذلك " أول الأمر وابتداؤه " كأن تقول حداثة الأمر أي ابتداؤه ويقال إنسان حديث السن أي أنه في أول عمره، ويقال أيضًا حديث شبابه وحدثان شبابه كلها بمعنى واحد [٨].

فكلمة الحداثة في معناها اللغوي تعني الشيء الجديد والحديث سواء كان في المناهج أو الأساليب أو طرق التدريس ووسائل التجديد فيها.

مفهوم الحداثة في الإصطلاح :

كثرت تعريفات الحداثة في الاصطلاح وتعددت بناء على كثرة اتجاهاتها واختلاف وجهات النظر حولها، نقتصر منها على ما يلي :

- عرفت بأنها " حركة جديدة تستبدل بالقديم جديدًا، وذلك بالإعتماد على المنجزات العلمية والعقلية والثقافية في جميع الحضارات، مع تجاوز التقاليد والأعراف الموروثة " [٩].

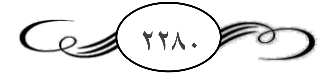
٥- سنن أبو داوود حديث رقم ٤٠٦٧، وسنن ابن ماجه باب اجتناب البدع والجدل ٤٦/١٨/١.

٦- كتاب العين ج٣، ص١٧٧، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٢ ص٣٦، ولسان العرب لابن منظور ص١٣١، ١٣٢.

٧- صحيح البخاري باب إذا أصطلحوا على صلح جور الجزء الثالث ص١٨٤ حديث رقم ٢٦٩٧، وصحيح مسلم كتاب الأقضية الجزء الثالث ص١٣٤٣ حديث رقم ١٧١٨.

٨- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية باب الحاء ج١ ص١٦٠، ولسان العرب ص١٣٢.

٩- انظر الحداثة وما بعد الحداثة د/ عبد الوهاب المسري د/ فتحي التريكي ص٢١٢، ٢١٣ الناشر دار الفكر بيروت الطبعة الثالثة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.



- وقيل هي " قطع الصلة بالتراث وطلب التجديد " [١٠].

- وجاء في الموسوعة الميسرة أنها " مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية وغيرها، تهدف إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية، وهي من هذه الناحية شر لأنها إملاءات اللا وعي في غيبة الوعي والعقل " [١١].

- وعرفها **محمد سبيلا** بأنها : " تحرر من ثقل التراث وتثاقلاته وأشكال عطالته ومن صور العالم القديمة، تحرر الفرد من ربقة التقليد ومن ثقل الماضي، وتزوده بحق الاختيار وبقسط أكبر من الحرية ومن المسئوولية " [١٢].

ثم وصف مناهجها في التحرر من التراث بكونها " عنيفة في طريقة حلولها وحصولها وفي العمل التفكيكي الذي تمارسه على كل البنيات الاجتماعية والفكرية التقليدية محدثة شروخاً في الواقع، وفي الوعي والذاكرة واللغة والخيال وطرق الإدراك"[١٣].

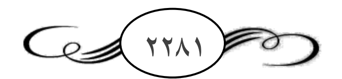
- ويعرفها صاحب الأسس الفلسفية بقوله: " هي منهج في تكوين الرؤية

١٠- روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية طه عبد الرحمن ص٢٣ الناشر المركز الثقافي العربي طبعة أولى ٢٠٠٦م.

١١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ج٢ ص٨٦٧، إشراف د. مانع بن حماد الجهني دار الندوة

١٢- الحداثة وما بعد الحداثة محمد سبيلا ص٤٢ الناشر دار البيضاء الطبعة الثالثة عام ٢٠٠٧م.

١٣- المرجع السابق.



الفلسفية للوجود " الكون، الحياة والإنسان " يبتنى على أساس محورية الإنسان، واعتماد العقل وقانون الحركة والتطور في الوجود " (١٤).

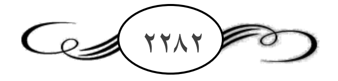
إن كل رؤية تعتمد هذا المنهج هي رؤية حداثية، وإن كل منهج يقوم على أساس محورية الإنسان، واعتماد العقل، وتطور الوجود هو منهج حداثي.

- وقيل في تعريفها " هي سلسلة من التحولات في المجتمع المعاصر قائمة على أساس التمدن والتصنيع والعلم والتكنولوجيا، والتي أصبحت أساسًا لفكر الشك الديني، وعدم الاعتقاد بصحة الكتب المقدسة " (١٥).

ويشير **د/ محمد عابد الجابري** إلى عدم وجود تعريف ثابت للحداثة فهي تختلف في كل زمان ومكان قائلًا : " ليست هناك حداثة مطلقة، كلية وعالمية، وإنما هناك حداثات تختلف من وقت لآخر، وبعبارة أخرى الحداثة ظاهرة تاريخية، وهي ككل الظواهر التاريخية مشروطة بظروفها، محدودة بحدود زمنية ترسمها الصيرورة على خط التطور، فهي تختلف إذن من مكان لآخر، من تجربة تاريخية لأخرى، الحداثة في أوربا غيرها في الصين، غيرها في اليابان " (١٦).

- وفي سياق آخر يعرفها أندريه لالاند بقوله : " إنها حالة ثقافية وحضارية ومجتمعية جاءت كتعبير عن حالة المجتمعات الصناعية الغربية التي بدأت منذ القرنيين التاسع عشر والعشرين، وهي في الوقت نفسه امتداد لجهود حثيثة بدأت منذ القرن السادس عشر في أوربا " (١٧).

١٤- الأسس الفلسفية للحداثة دراسة نقدية مقارنة بين الحداثة والإسلام تأليف السيد صدر الدين القبانجي ص١٥ بدون تاريخ.
١٥- الأسس الفلسفية للحداثة ص١١.
١٦- التراث والحداثة دراسات ومناقشات محمد عابد الجابري ص١٦مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى١٩٩١م.
١٧- موسوعة لالاند الفلسفية اندريه لالاند تعريب خليل أحمد خليل ص٨٢٢ الطبعة الأولى ١٩٩٦م منشورات عويدات بيروت.



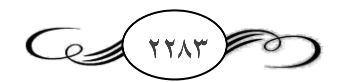
ورغم هذه التعريفات إلا أنها تتفق فيما بينها على عناصر مشتركة ومظاهر واضحة، فهي في صورتها العامة تعول على مذهب فكري علماني استمد أصوله ومناهجه من فلسفات غربية خالصة، تدعو لهدم كل الموروثات دون تمييز، والتمرد على القيم والأخلاق والمعتقدات الصحيحة، وتبني الرغبات الفوضوية ومحاكاة النمط الغربي باعتباره نقطة انطلاق إلى النهضة المنشودة والنموذج التقدمي.

فمنذ نهاية القرن الثامن عشر، وما حمله من علامات تغيير جذري في حياة الإنسان الأوروبي فردًا وجماعة، لم يهتم خطاب الحداثة في الغرب إلا بموضوع واحد، على الرغم من تعدد التسميات وهو الإنسان وفاعليته، وترتكز هذه الفاعلية على سيادة العقل واختراقه لكل مجالات الحياة الاجتماعية اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا فالحداثة بذلك تشكل نظرة جديدة إلى العالم، يتم بمقتضاها إحداث قطيعة مع سلطة الماضي.

المفهوم الثاني ما بعد الحداثة

فيقصد بها النظريات والتيارات والمدارس الفلسفية والفكرية والأدبية والنقدية والفنية التي ظهرت في الغرب في الستينيات من القرن العشرين، بغية تصحيح مسار الحداثة الغربية بالنقد والتحليل والمعالجة، ومن ثم يمكن الحديث عن حداثة أولى وحداثة ثانية، أو عن حداثة قبلية وحداثة بعدية.

فالحداثة البعدية هي مرحلة تعرف تاريخيًا بالتوالي الزمني لهذه المرحلة الحداثية التي تعني إبطالًا للمبادئ القديمة، وقد عرفتها أوروبا حين دخلت في أزمة مع مشروعها الحداثي، والذي إن كان حقق للأوروبي جزءً من السعادة إلا أن نتائجه كانت مليئة بمظاهر القلق والاختناق وحافلة بالمآسي على كل الأصعدة، الأمر الذي أكد وجود هوة سحيقة بين ما كان يدعو إليه المشروع الحداثي، وما وصل إليه في نهاية الأمر، وتقترن ما بعد الحداثة بفلسفة الفوضى



والعدمية والتفكيك واللامعنى واللانظام، وتتميز نظريات ما بعد الحداثة عن الحداثة السابقة بقوة التحرر من قيود التمركز، والانفكاك عن اللغوس والتقليد، وما هو متعارف عليه وممارسة لغة الاختلاف والتضاد والهدم والتشريح، فهي جاءت لتقويض الميتافيزيقا الغربية وتحطيم المقولات المركزية، التي هيمنت قديمًا وحديثًا على الفكر الغربي.

الجذور التاريخية للحداثة

اختلفت آراء الباحثين في تحديد تاريخ ومكان نشأة الحداثة ، فرأى البعض أن ولادة الحداثة في العصر الحديث كان في باريس عام ١٨٣٠م وما بعدها، ويرى آخرون أن بداية الحداثة كان في السبعينات من القرن التاسع عشر، ويرى فريق آخر أن السنوات العشر الأولى من القرن العشرين تمثل البدايات الحقيقة للفكر الحداثي، وقيل : إن فترة النشاط الفلسفية الحداثية هي الفترة الممتدة من عام ١٩١٠م إلى بداية الحرب العالمية [١٨].

"فهناك من قال أنها تمتد على مدى خمسة قرون كاملة، ابتداءً من القرن السادس عشر بفضل حركة النهضة وحركة الإصلاح الديني، ثم حركة الأنوار والثورة الفرنسية ، قبلها الثورة الصناعية والثورة التقانية ثم الثورة المعلوماتية، ومنهم من جعل هذه الحقبة التاريخية أدنى من ذلك حيث نزل بها إلى قرنين فقط" [١٩].

١٨ - الحداثة في منظور إيماني د/ عدنان علي رضا النحوي ص٣٢ دار النحوي للنشر الرياض طبعة الثالثة عام ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

١٩ - روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية طه عبد الرحمن ص ٢٣الطبعة الأولى ٢٠٠٦ المركز الثقافي العربي.



إلا أنه مما لا شك فيه أن الحداثة تمثل إنعكاسًا للتيه الذي دخلته أوروبا بسبب سيطرة الكنيسة وفسادها، منذ العصور الوسطى حتى العصور الحديثة فالحداثة قد قامت على أنقاض الإرث الكنسي، حتى إنها اقترنت في الأذهان بنبذ الدين كلية [٢٠].

فالحداثة ترتبط أولًا وأخيرًا بالمجتمع الغربي، فهي خصوصية يتسم بها الغرب، ابتدعها من أجل فرض ثقافة شاملة عالمية وعقلانية لتحقيق الوحدة، رافضة كل ما يعيق التقدم، حسب ظن أصحابها دون تمييز بينها وبين ما هو صحيح من موروث ثقافي ، وتقويض لكل ما هو مؤسس على الخرافة والأسطورة، وبالتالي فقد شكلت الحداثة قطيعة مع العصور الوسطى المظلمة، وفي الوقت نفسه، تواصلًا مع عصر النهضة وعصر الأنوار، الذي لا يؤمن إلا بالعقل والذات المفكرة المبدعة والناقدة حسبما تهيأ لها [٢١].

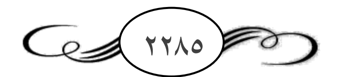
والحداثة لم تبق حبيسة بيئة الثقافة الغربية بحكم منبتها، بل ذاعت وامتدت إلى بيئات غير بيئتها باسم التحديث والتجديد، فأصبحت من المفاهيم الأكثر تداولًا في الدراسات الفكرية والأدبية والنقدية العربية والإسلامية، واستخدمت على نطاق واسع واستندت إليها فلسفات متزايدة الحضور والحظوة، بدعوى محاولة التقريب بين النموذج الحداثي الغربي والتراث الفكري العربي الإسلامي.

ويؤرخ الباحثون لبداية انتشار مفهوم الحداثة الغربي في **الفكر العربي الإسلامي** خاصة ببداية القرن التاسع عشر، مع بداية الحركات الاستعمارية للبلاد العربية والإسلامية، والتي فتحت أعين العرب والمسلمين على مظاهر التقدم الأوربي، فمن خلال هذا الانفتاح وعى الفكر العربي حجم التأخر له على كافة

---

٢٠ - المرجع السابق ص ٦١.

٢١ - طه عبد الرحمن ونقد الحداثة بوزبرة عبد السلام ص٣٧ الطبعة الأولى ٢٠١١م.



الأصعدة، الأمر الذي أدى إلى التساؤل حول تأخر العرب والمسلمين عن الركب العالمي المتطور، والنقاش حول طريق النهضة، ومنذ إثارة هذا التساؤل وانطلاق ذلك النقاش والعقل العربي لا يكف عن تناول الفكر الحداثي الأوربي.

ومن أبرز المواقف التي ظهرت حيالها **المواقف العصرانية** التي دعا أصحابها إلى تبني النموذج الحداثي الغربي بوصفه النموذج الذي يحقق التقدم المنشود للأمة العربية والإسلامية بل للعالم أجمع، **والمواقف المحافظة أو الأصولية** التي تعادي الحداثة الغربية والتي وقفت منها موقف الرافض لها بما فيها من فلسفات مادية هادمة لكل ما هو ديني، داعين إلى استعادة النموذج العربي الإسلامي الأصيل متمسكين في ذلك بما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : " إنما هما اثنتان الكلام والهدي، فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد (ﷺ)، ألا وإياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة " (٢٢).

٢٢ - رواه ابن ماجه في سننه باب اجتناب البدع والجدل ٤٦/١٨/١.



المبحث الثاني
محمد أركون النشأة والمنهج

أولًا : التعريف بمحمد أركون :

محمد أركون مفكر وباحث جزائري ولد عام ١٩٢٨م بمنطقة القبائل الكبرى الأمازيغية بالجزائر في بلدة تاويرت ، وبدأ يتعلم اللغة الفرنسية وهو في سن السابعة من عمره في المدرسة الإبتدائية [٢٣].

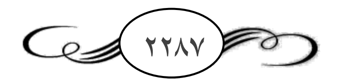
وأكمل دراسته الثانوية في مدينة وهران ولم يتقن اللغة العربية الفصحى إلا في الثانوية بوهران وقد درسها لسنة واحدة، حيث غادر أركون لأسباب سياسية سنة ١٩٤٩م، وانقطع تعليمه بالعربية حتى وصوله إلى الجامعة بالجزائر العاصمة، فابتدأ دراسته الجامعية بكلية الفلسفة في الجزائر، وأتمها بعد ذلك في جامعة السوربون في باريس [٢٤].

واهتم أركون بفكر المؤرخ والفيلسوف ابن مسكويه حيث تأثر به وبجهوده النقدية للفكر النقلي الذي يقدس حرفية النصوص، قامعًا في سبيل ذلك كل إرادة عقلية نقدية، وقد دفعه تأثره بهذا الفيلسوف وبمشروعه أن يجعله موضوعًا لأطروحته في الدكتوراة عام ١٩٦٩م، وكان عنوان رسالته " النزعة الإنسانية العربية في القرن الرابع الهجري مسكويه مؤرخًا وفيلسوفًا " وترجمت إلى العربية كمؤلف بعنوان " نزعة الأنسنة في الفكر جيل مسكويه والتوحيدي " [٢٥].

٢٣- الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون كحيل مصطفى ص٢٣، ٢٤ الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م دار الأمان.

٢٤- نظرات شرعية في فكر منحرف سليمان صالح الخراش ص٥٥١ وانظر العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب والجهود الفلسفية عند محمد أركون رون هالبير ترجمة جمال شحيد ص١٦٧ طبعة عام ٢٠٠١م.

٢٥- القراءة الحداثية للقرآن الكريم محمد أركون أنموذجًا، بلمهوب هند ص٢٨٣ طبعة عام ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في النقد الحديث بالجزائر.



وقد انتسب إلى الجامعة الفرنسية وعين أستاذًا لتاريخ الفكر الإسلامي في جامعة السوربون عام ١٩٨٠م، وعمل كباحث مرافق في برلين عام ١٩٨٦م، وأستاذًا زائرًا في العديد من الجامعات الأوروبية والأمريكية المختلفة، وأنجز الكثير من الأعمال العلمية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية وفي عام ١٩٩٣م شغل منصب عضو في مجلس إدارة معهد الدراسات الإسلامية في لندن [٢٦].

ويذكر أركون أنه درس في مدرسة الآباء البيض التبشيرية، ولقد كان للبيئة التي نشأ فيها محمد أركون أثر كبير في تفكيره وتكوينه العقلي، فقد نشأ منذ نعومة أظفاره على يد هؤلاء الرهبان والمبشرين الذين كان لهم الأثر الفعال في تكون شخصيته.

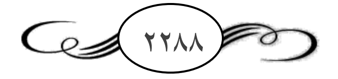
فإن أركون شرح مشاعره تجاه تلك المدرسة حيث يرى أنه عند المقارنة بين تلك الدروس المحفزة في مدرسة الآباء البيض مع الجامعة، فإن الجامعة تبدو كصحراء فكرية [٢٧].

اهتم بقضايا الأنسنة Humanization – كما يطلق عليها في مؤلفاته – وهي علم الأنثروبولوجيا " علم الإنسان "، وتاريخ الأديان التوحيدية، كما أنه اهتم بنقد العقل الإسلامي والتطبيقات الإسلامية التي يراها حلا لهذا النقد.

يكتب أركون باللغة الفرنسية والإنجليزية مع أنه يتحدث بالعربية، وترجم أكثر أعماله المفكر والمحقق السوري هاشم صالح.

٢٦- انظر الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص٢٦، والخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله دراسة نقدية صليحة عاشور ص٢٢٨ أشغال الملتقى الدور الثالث في تحليل الخطاب الجزائر.

٢٧- معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية محمد أركون ص٢٠ ترجمة هاشم صالح الطبعة الثانية عام ٢٠٠٢م دار الساقي بيروت وانظر محمد أركون وعلمنة الإسلام عبد العزيز كحيل.



ويعرف أركون مشروعه الفكري قائلًا : " هو فكر يدعو إلى المراجعة النقدية الصارمة أو الغربلة الكاملة لكل التراث العربي الإسلامي، ومناهج هذا المشروع ومسارته وبلوراته المصطلحية وبلاغياته التي تبحث عن التصديق عليها، ليس فقط داخل الإطار الخاص بالفكر الإسلامي، وإنما أيضًا داخل الإطار الأكثر قربا، كإطار الفكر اليهودي، والفكر المسيحي، بمختلف تجلياتها داخل الفضاء التاريخي التوحيدي ... "[٢٨].

بدأ مشروع أركون في التبلور تحت اصطلاح وضعه هو نفسه الإسلاميات التطبيقية سنة ١٩٧٠م، حيث كان لب مشروعه النقدي هو نقد العقل الإسلامي، فهذه البلورة بمثابة بداية لتحضير مشروع حداثة عربية إسلامية قائمة على العقلانية النقدية " [٢٩].

كان أركون شخصية مثيرة للجدل في حياته وبعد مماته، وهذا بسبب جرأته الفكرية والنقدية – لاسيما وأنه مفكر إسلامي – واعتقاده أنه تناول قضايا مسكوتًا عنها، وهجومه على منهجية التفكير لدى المسلمين.

توفى محمد أركون في عام ٢٠١٠م عن عمر ناهز ٨٢عامًا بعد معاناة مع المرض في العاصمة الفرنسية ودفن بالمغرب.

أهم مؤلفاته :

كتب محمد أركون كتبه باللغة الفرنسية أو بالإنجليزية وترجم البعض منها إلى اللغة العربية ومن هذه المؤلفات المترجمة إلى العربية :

-القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

-الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

-الإسلام أوروبا الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة.

---

٢٨ - محمد أركون المفكر والباحث والإنسان عبد الإله بلقزيز ص٤٥.

٢٩ - الحداثة وفكر الاختلاف عبد القادر بودومة ص١١٦ الطبعة الأولى ٢٠٠٣م الجزائر.



-نزعة الأنسنة في الفكر العربي.

-قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم؟.

-نقد العقل الإسلامي.

-العلمنة والدين الإسلام، المسيحية، الغرب.

-تاريخية الفكر العربي الإسلامي.

ومما نلاحظه حول مؤلفات أركون أن هذه المؤلفات عبارة عن مجموعة من الأبحاث والدراسات، تدور حول إشكالية كبرى وهي إشكالية دراسة الفكر الإسلامي دراسة حديثة.

ثانياً : المنهج الأركوني

ليس من اليسير الإحاطة بالمنهج الأركوني، فهو لم يحصر اهتمامه بمنهج دون سواه، بل تميز الموقف المنهجي لمحمد أركون بالتعدد، إذ أنه لا يلتزم بمنهج واحد محدد تخضع له مواضيع بحثه، وإنما كان اختياره للمنهج حسب الموضوع والإشكالية المعالجة، ويختصر أركون منهجه الموظف في مشروعه بقوله " إن الإسلاميات التطبيقية منهج متعدد الاختصاصات " (٣٠).

يقول أركون في موضع آخر: " المنهجيات التي أطبقها على التراث العربي الإسلامي هي المنهجيات نفسها التي يطبقها علماء فرنسا على تراثهم اللاتيني المسيحي " (٣١).

قام أركون بتطبيق مناهج العلوم الإنسانية المعاصرة، وفلسفات التأويل الحديثة على التراث الإسلامي ونصوص الوحي، من حيث هو خطاب لغوي يستجيب فيما وراء طابعه المقدس الذي يقر به المؤمنون لآليات التفكيك والنقد،

٣٠- تاريخية الفكر العربي الإسلامي محمد أركون ص٥٩.

٣١- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ص٢٤٧.



ومن أهم المناهج التي طبقها أركون على التراث الإسلامي **المنهج التفكيكي** وهو أحد أعمدة المشروع الأركوني، بحكم أن الفكر الإسلامي ككل – من وجهة نظره – يحتاج إلى تفكيك لأنظمة الفكر التي سادت فيه، وهذا بدًء من لحظة نزول القرآن حتى يومنا هذا، لذا يعلن أنه قد : " آن الآوان للانخراط في أكبر عملية تفكيك في تاريخنا الفكري والثقافي ويقصد بعملية التفكيك، أن كل الموروث الديني والعقدي لمختلف المذاهب والطوائف ينبغي أن يتعرض لأكبر عملية غربلة، من خلال تطبيق مناهج علم الألسينات الحديثة وعلم التاريخ الحديث وعلم الاجتماع، وعلم النفس التاريخي، وعلم الأنثروبولوجيا، وبالطبع علوم الأديان المقارنة والأنثروبولوجيا الدينية واللاهوت المقارن " (٣٢).

وقد سمى أركون هذه المناهج باسم " الإسلاميات التطبيقية : أي تطبيق منهجيات العلوم الإنسانية ومصطلحاتها، على دراسة الإسلام عبر مراحل تاريخه الطويل " (٣٣).

إن محمد أركون من النقاد الذين تميزوا في الساحة النقدية بسعيه وراء تطبيق المناهج الغربية على الفكر والتراث العربي الإسلامي إذ حاول بلورة كافة الأنظمة الفكرية الغربية من جديد، ووضع الأنموذج العربي تحت منظار هذه الأنظمة وقراءتها تاريخيًا وحاضرًا.

ومن أهم المنهجيات أيضا التي اعتمدها أركون **المنهج النقدي التاريخي** فقد طبق هذا المنهج على النص القرآني ليثبت ارتباطه بظروف نشأته وأسباب نزوله وبالتالي تاريخيته، وهذا المنهج استعاره أركون من الأبحاث الغربية التي اهتمت بالعهدين القديم والجديد " التوراة والإنجيل " بغية تطبيقها على النص

٣٢- الإسلام، أوربا، الغرب محمد أركون ص٢٠٠، ٢٠١.

٣٣- الإسلام، أوروبا، الغرب محمد أركون ص١٧٨.



القرآني من أمثال مارسيل غويته ١٩٤٦م في كتابه " خيبة العالم " ،فرانسوز سميث فلورنتان في كتابه " انتهاك الأصول الأولى " [٣٤].

يقول أركون : " سوف نعطي المناهج الحديثة فرصة تجريب نفسها على مثال آخر غير المثال المسيحي في الثقافة الأوروبية، وعندئذ سوف نعرف فيما إذا كانت العلوم الاجتماعية تنطبق على القرآن مثلما تنطبق على الإنجيل، أم أنه ينبغي أن تجرى بعض التعديلات عليها " [٣٥].

أما في علم الألسينات فنجده يطبق القراءة التزامنية [٣٦] في تطبيقاته على النص القرآني، كما نجده يعود إلى أعمال أميل بنفينيست (١٩٠٢ – ١٩٧٦م) أحد أهم مؤسس التيار الوظيفي في اللسانيات البنيوية الفرنسية.

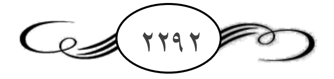
وهذا المنهج الألسني استخدمه أركون في استبدال [٣٧] ألفاظ لغة القرآن، اللغة العربية بمصطلحات غربية بهدف نزع القداسة عن القرآن الكريم والتعامل معه كأي نص بشري عادي، وبالتالي يحمل النصوص القرآنية مالا تحتمل من معاني حسب أهوائه ورغباته.

٣٤- انظر الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص٣٣، انظر قضايا في نقد الفكر الديني محمد أركون ص٢٠٩، المنظور التأويلي محمد الطوالبة ص٤٦.

٣٥- الفكر الأصولي محمد أركون ص٤٩.

٣٦- القراءة التزامنية : هي القراءة المطابقة زمنيًا للنص المقروء، أي القراءة التي تحاول العودة إلى الوراء إلى زمن النص لكي تقرأ مفرداته وتركيباته بمعانيها السائدة آنذاك، وليس بالمعنى السائد اليوم وهناك فرق بينها وبين القراءة الإسقاطية وهي التي تسقط على نص ما معاني زمن آخر وعصر آخر، وذلك أن معاني مفردات اللغة تتغير من عصر إلى آخر، فالقراءة الإسقاطية من وجهة نظر أركون توقع في فخ المغالطة التاريخية إذا فهم قارئها كلمات النص بمعاني عصره وليس بمعاني الزمن الذي قيل فيه النص انظر الفكر الإسلامي قراءة علمية محمد أركون ص٢١٣.

٣٧- مثل استبدال لفظ المصحف بالمدونة النصية كما سيأتي توضيحه إن شاء الله.



يقول أركون : " اللجوء إلى الألسنيات والسيميولوجيا أمر لابد منه من أجل جعل الروابط مفهومة بين الدين والتاريخية " [٣٨].

أما في مجال السيميائيات فقد استخدم أركون التحليل الدلالي أو السيميائي، والسيميائي نسبة إلى السيمياء وهي تعني علم أو دراسة العلامات الإشارات، دراسة منظمة منتظمة ويسميها الأوروبيون السيميولوجيا " [٣٩] وهو في هذا متأثر بأحد علماء الألسنية في الغرب دغريماس (١٩١٧ – ١٩٩٢م).

وقد دعا محمد أركون إلى تطبيق السيميائية على القرآن الكريم فقال : " ولا أزال أقول بأن التحليل السيميائي " أو العلاماتي الدلالي " ينبغي أن يحظى بالأولوية وخاصة عندما يتعلق الأمر بالنصوص الدينية ذات الهيبة الكبرى، فالتحليل السيميائي يقدم لنا فرصة ذهبية لكي نمارس تدريبًا منهجيًا ممتازًا، يهدف إلى فهم كل المستويات اللغوية التي يتشكل المعنى أو " يتولد " من خلالها ... ثم قال : وباللغة السيميائية يمكننا القول بأن كل وحدة نصية من وحدات الخطاب القرآني، مبنية على أساس سلسلة متسلسلة من الأحداث المركبة على هيئة بنية دراماتيكية أو مسرحية مثيرة " [٤٠].

وقد فسر أركون سورة العلق، وسورة الفاتحة وبعض آيات سورة التوبة والكهف متبعًا هذا المنهج، وذكر علامات وإشارات في الحروف والكلمات تدل على معاني وارتباطات خاصة، خرجت عن ظاهر النصوص ودلالاتها [٤١].

٣٨- الفكر الإسلامي قراءة علمية محمد أركون ص١٢١.

٣٩- انظر القرآن من التفسير الموروث ص١١٣ وانظر أيضًا في المقاربة السيميائية د/ معجب محمد سعيد الزهراتي ص١٤٣، ١٦٣ مقال في مجلة علامات في النقد الأدبي مجلد ١ العدد ٢ عام ١٩٩١م.

٤٠- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني محمد أركون ص٣٤ وما بعدها.

٤١- المرجع السابق ص٣١، ٣٣، ١٥٢، ١٧٥.



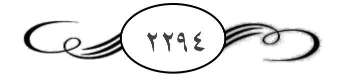
والدارس لفكر أركون يلمس الحضور القوي لعلمي الاجتماع والنفس، حيث استعار منهما الكثير من المفاهيم والمصطلحات التي طبقها في ورشاته وضمنها عديد مؤلفاته، بغية ما أراده من أنسنة النص ونقد التراث الإسلامي على وجه العموم ، فنجده يعود إلى أعمال ليفي ستراوس ١٩٠٨ – ٢٠٠٩م وكتابه الفكر المتوحش، كما أخذ عن المفكر الفرنسي لوسيان لوفيفر مصطلح القوى المركزية والقوى الهامشية أو الأطراف، وطبقه كمنهج وسمه بالمنهج السلبي [٤٢].

يقول أركون المنهجية العديدة التي تحظى باهتمامي أكثر من غيرها منهجية علم النفس التاريخي (psy.. la chologie historiaue) لهذا السبب أركز على أهمية الخيال والمخيال والأسطورة والوعي الجمالي كعامل أساسي ومحرك في التاريخ الإسلامي " [٤٣].

كما استخدم أركون أيضًا **المنهج الجينالوجي** وهو المنهج الذي " يحفر عن جذور العقائد وأصولها، فالإسلام هو ثالث الأديان التوحيدية ولا يمكن فهمه من دون العودة إلى اليهودية والمسيحية المذكورتين مرارًا وتكرارًا في القرآن وبالتالي لكي نفهم جذور القرآن والإسلام، ينبغي العودة إليهما " [٤٤].

والأنثربولوجيا الدينية والتي تعني " دراسة كل الأديان في كل المجتمعات البشرية من أجل المقارنة فيما بينها واستخلاص القواسم المشتركة، وفهم آلية اشتغال الروح البشرية فيما وراء كل الخصوصيات الضيقة المحصورة بشعب واحد أو دين واحد " [٤٥].

٤٢- انظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص١٠٨.
٤٣- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ص٢٤٩.
٤٤- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية محمد أركون ص١٧٤.
٤٥- من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ محمد أركون ص٥٣ ترجمة هاشم صالح الناشر دار الساقي الطبعة الثانية ١٩٩٥م وانظر المعجم الفلسفي ابراهيم مدكور وآخرون ص٢٥ مجمع اللغة العربية طبعة عام ١٩٨٣م المطابع الأميرية القاهرة.



فيرى أن الإنسان عاجز عن تفسير الظاهرة الدينية بكل أبعادها الأنثروبولوجيا، ما دام يحصر نفسه في دين واحد، لذا أراد أركون الاستشهاد بالتوراة والإنجيل رغم ما حدث فيها من تحريف لنفهم على ضوئها القرآن الكريم، وما ذلك إلا لنزع القدسية عن القرآن الكريم ومحاولة هدم الثوابت الدينية، ولم يكن له ذلك ولن يكون لغيره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

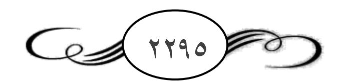
كما طبق أركون كغيره من الحداثيين **المنهج البنيوي** على القرآن الكريم عند فهمه وتأويله، وهو منهج نقدي أدبي، لا يعني دراسة بنية الكلمة وتركيبها للوقوف على معناها وزيادة المبني والمعنى أو نقصانهما، وإنما يقوم على عزل النص عن قائله حتى يتصرف القارئ في معناه كيفما شاء، وعلى الاهتمام بباطن النص أكثر من ظاهره، وعلى دراسة النص بعيدًا عن المؤثرات الخارجية التي تحيط به.

وقد طبقه أركون خاصة على النصوص القرآنية التي تحدثت عن قصص الأنبياء حيث قال:" وهذا يفترض علينا أن نقوم مسبقًا بتحليل بنيوي لكل الحكايات أو القصص الواردة في القرآن، وذلك على غرار ما فعله بعض الباحثين الفرنسيين مؤخرًا بالنسبة للإنجيل " [٤٦].

وينبغي عند أركون القيام بتحليل بنيوي ليتبين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري، الذي يشتغل على أساطير قديمة متبعثرة شكلًا ومعنى جديدًا أي عملًا متكاملًا مجهزًا بطريق استخدام وأسلوبية خاصة في اللغة العربية [٤٧].

٤٦- القرآن من التفسير الموروث أركون ص١٠٨.

٤٧- الفكر الإسلامي قراءة علمية محمد أركون ص٢٠٣ والفكر الأسطوري عند أركون يريد به نمطًا خصوصيًا من أنماط التعبير عن الواقع ونوعًا من التصور وليس بمعنى الخرافات والأباطيل انظر نزعة الأنسنة في الفكر العربي محمد أركون ص٦٣١ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م الناشر دار الساقي بيروت.



وهذا المنهج كما يقول نصر حامد أبو زيد " يجمع بين دراسة النص من الداخل بوصفه بنية لغوية قائمة بذاتها، أو تجسدًا بنائيًا يعيد بناء معطيات الواقع والثقافة العربيتين في نسق جديد، ولدراسة النص من الخارج بوصفه منتجًا ثقافيًا من نتاج الواقع، بكل ما ينتظم هذا الواقع من أبنية اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية " (٤٨).

وبناء عليه ذكروا أن للنص جهتين جهة ما قبل الاستظهار البشري وجهة ما بعد الاستظهار .. نص ظاهر بذاته ليس للمدرك إلا تعيينه وآخر غير ظاهر بذاته وإنما يقوم المدرك بتعيين ما يقدر على إظهاره منها (٤٩).

هكذا تتعدد المناهج الموظفة بحكم توظيف أركون لمنهجية متعددة ومتداخلة الاختصاصات بتعدد المصادر التي يعود إليها وباختلاف العقول المعرفيه التي يستقي منها آلياته، بداية من الاستشراق الذي استعار منه المنهج الفيلولوجي في بداياته الأولى من مشروعه، لينتقل إلى مدرسة الحوليات وروادها فرنان بروديل "١٩٠٢-١٩٨٥" ولوسيان لوفيفر " ١٨٧٨-١٩٥٦" وجورج دوبي ١٩١٩ – ١٩٩٦م (٥٠).

فهو لا يفتأ يلح على ضرورة التسلح بالأدوات المنهجية الغربية التي تبلورت بعد الخمسينات في مجال العلوم الإنسانية بشتى فروعها من التاريخ واللسانيات والأنثروبولوجيا، وعلم النفس بجميع مدارسه وعلم الأديان المقارن والسميولوجيا ثم الإبسيتمولوجيا والفلسفة (٥١) وتطبيقها على التراث الإسلامي دون مراعاة لاختلاف الواقع الإسلامي عن الواقع الغربي ولا الظروف التي

٤٨- مفهوم النص " دراسة في علوم القرآن " نصر حامد أبو زيد ص٢٤، ٢٦ بتصرف.

٤٩- المعنى القرآني بين التفسير والتأويل دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني لعباس أمير ص١٢٨، ١٢٩ طبعة عام ٢٠٠٨م.

٥٠- انظر الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ص٢٤٧، ٢٧٤، ٢٨٤.

٥١- محمد أركون ومشروعه النقدي محمد بوراس ص١٠٣ مجلة البيان العدد ١٧٩.



انتجت هذه المناهج ولا اختلاف بيئتها عن البيئة الإسلامية.

ويعلل محمد أركون تعددية المناهج والمقاربات التي يستخدمها في نصوصه وبحوثه، بطبيعته الفضولية وكثرة التطلع إلى المجالات المختلفة في شتى الميادين المعرفية، وحب استكشافها والتردد على الذين يمارسوها فيقول : " إن توجهاتي المنهجية المتعددة راجعة إلى فضولي الشخصي ومطالعاتي الشخصية، ولي طبيعة تحب التردد على أولئك الذين ينشغلون في الحقول المعرفية المختلفة والمتعددة " (٥٢).

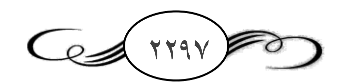
ومع ذلك نجد أركون " لا يحدد منهجًا منضبط لفهم القرآن الكريم وتفسيره في ضوء اللسانيات الحدثية، بل يقتصر جل كلامه على المطالبة بطرح المنطق اللغوي في فهم النصوص، وترك علوم اللسان العربي للبحث في بنية الكلام القرآني دون قيود اللغة واستخداماتها حسبما توهم ذلك (٥٣).

وباستعراض لتلك المناهج التي استخدمها أركون تبين لنا أن هذه المناهج اللسانية التي يدعو الخطاب الحداثي إلى تطبيقها في دراسة النص الديني ليست المناهج التي وضعها علماء الإسلام والعربية، وإنما التي تأسست في الغرب وفي أحضان الثقافة الغربية بكل خصوصياتها، وهذا لا يستقيم منهجيًا، فالمفروض أن يكون المنهج ملائمًا لطبيعة النص، لا غريبًا عن النص بشكل كلي (٥٤) كما فعل أركون من إثبات تاريخية النص الديني ونزع هالة القداسة عنه وإحداث قطيعة مع التراث الإسلامي على الرغم أنها مناهج غربية أفرزتها بيئة غربية تحت ظروف خاصة مختلفة عن بيئتنا الإسلامية من حيث واقع وطبيعة اللغة العربية والعقول التي أنتجت هذه المناهج.

٥٢- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ص٢٤٧.

٥٣- القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب د/ عبد الرازق إسماعيل هرماس ص٣٤ بدون طبعة.

٥٤- إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر مرزوق العمري ص١٨٤ الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م دار الأمان الرباط.



الفصل الثاني

النبوة في الفكر الأركوني

تمهيد :

يعد ما يدعو إليه الفكر الأركوني خاصة والفكر الحداثي على وجه العموم هو الثورة على مبادئ الإسلام ورفض مصادره، والتعويض عنها بمصادر معرفية حديثة يكون الإنسان نفسه هو مصدرها ومحركها ومفجرها، وبالتالي يتم التغاضي عن التحاكم إلى الله ورسوله (ﷺ) إلى ما ينتجه الإنسان بفكره وعقله، وذلك من خلال الطعن في المصادر الإسلامية للمعرفة وعلى رأسها قضية الوحي الإلهي حيث زعم هذا الفكر الحداثي لدى أصحابه أن الوحي الذي نزل على محمد (ﷺ) تأثر بكثير من المؤثرات التي أفقدته قدسيته وألوهيته، وأن مجرد نطق الرسول (ﷺ) بآيات القرآن الكريم أخرجه من نص إلهي إلى كلام بشري، وأن اللغة التي يتلى بها القرآن وهي العربية لغة الرسول – عليه السلام – وليست إلهية، وغير ذلك من المزاعم والافتراءات التي روجها المنتسبين لهذا الفكر .

لذا آثرت في الصفحات القادمة من هذا البحث أن أعرض رأي أركون من أنسنة الوحي وأنسنة النص ووضع ذلك في ميزان النقد العلمي الإسلامي ثم أعرض في فصل لاحق الوحي في الإسلام والدليل على إمكانه بالوسائل العلمية الحديثة كرد على ما ذهب إليه أركون.

المبحث الأول

أنسنة الوحي عند محمد أركون

قبل الشروع في الحديث عن أنسنة الوحي في الفكر الأركوني أقدم بيانًا لمفهوم الأنسنة.

مفهوم الأنسنة :

إن مصطلحات النزعة الإنسانية أو الأنسنة والإنسانوية، تأتي في اللغة العربية كترجمات للمصطلح الفرنسي Humanisme والذي يشتق من اللغة اللاتينية وتحديدًا من كلمة Humanistas والتي تعني " تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية، التي بها يكون جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات " (٥٥).

ويعرفها اندري لالاند في قاموسه الفلسفي بقوله :

" هي مركزية إنسانية متردية تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها، تقويم الإنسان، وتقييمه، واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لحقائق ولقوى خارقة للطبيعة البشرية، أو بتشويهه باستعماله استعمالًا دونيًا، دون الطبيعة البشرية " (٥٦).

ويميز هاشم صالح بين الصفة والاسم فصفة " الإنساني " أو " الإنسي " Humaniste اشتقت في اللغات الأوربية منذ القرن السادس عشر، وبالتحديد ١٥٣٩م، أما كلمة النزعة الإنسانية على هيئة الاسم أو المصدر Humanisme فلم تشتق إلا في القرن التاسع عشر، هذا مع العلم أن مدلولها كان موجودًا منذ وقت طويل فقد يوجد الشئ قبل أن يوجد اسمه، وكانت كلمة الإنس أو الإنساني تطلق على البحاثة المتبحرين في العلم وبخاصة علوم الأقدمين اليونان والرومان،

٥٥- الموسوعة الفلسفية عبد المنعم الحنفي ص٧١ الطبعة الأولى ١٩٨٦م مكتبة مدبولي القاهرة.

٥٦- موسوعة لالاند الفلسفية، اندري لالاند، تعريب خليل أحمد خليل ص ٥٦٩ المجلد الثاني .



وقد ظهروا في إيطاليا أولًا، وذلك قبل أن يظهروا في بقية أنحاء أوروبا [٥٧].ويمكن تعريف أنسنة الوحي بأنها اعتبار الوحي عملا إنسانيا مصدرا وغاية بحيث تكون النزعة الإنسانية مغلفة للوحي في مصدره من مبدأه إلى منتهاه.

الأنسنة وفك الارتباط بالمقدس :

تبنى أركون مشروع الأنسنة Humanisme والتي تجعل الإنسان محورًا لتفسير الكون بأسره، وتؤكد هذه النظرية على إنكار أي معرفة من خارج الإنسان كالدين أو الوحي.

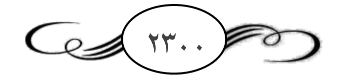
وقد سحب هذه النزعة على الدين الإسلامي بمصدريه القرآن والسنة ليس فقط على الشرائع، وإنما على الثوابت العقدية (الله – الوحي – النبوة) فنادى بأنسنتها.

وإنما كان يهدف من تلك النزعة تجاوز الجوانب الأسطورية والإيديولوجية والدوغمائية في الفكر الإسلامي–كما سيأتي– والتركيز على الجوانب العقلانية والتنويرية فيه، ومحاولة تخليصه – قدر الإمكان – من الرواسب التي علقت به على مر الزمان وأصبحت من المسلمات المعرفية واليقينيات التي لا يمكن تجاوزها، أو استبدالها أو زحزحتها.

" لقد بات الإنسان مصدر المعرفة، ومرجعها الأول بدل النص المقدس عن طريق العقل " [٥٨].

٥٧- مدخل إلى التنوير الأوربي، هاشم صالح ص ٧٩ طبعة عام ٢٠٠٥م.

٥٨- نزعة الأنسنة في الفكر العربي محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ٦٠٨ طبعة الدار الساقي بيروت.



ومعنى هذا أن الإنسان هو مرجع ذاته، وليس الدين، أو السلطة السياسية فهو المسؤول الوحيد عن تحقيق مصيره، والمشرع لمجتمعه وممارساته بعيدًا عن هيمنة اللاهوت ومعاني القداسة على حد زعم أركون.

إن مشروع الأنسنة عند أركون يقوم على تحرير الذات الإنسانية من كل أشكال الاستلاب والتبعية في علاقتها بذاتها، وفي علاقتها بأبناء جنسها وفي علاقتها بالعالم بشكل عام.

وذلك لن يتحقق – في نظره – إلا بالقطع مع كل أشكال المقدس، أو إعادة تأويله بما يجعله إنتاجًا بشريًا، **فالأنسنة في جوهرها** هي الانتقال من عالم يسيطر فيه المقدس إلى عالم يسيطر فيه الإنسان، أي أن الأنسنة بهذا المعنى تمثل " قطيعة حاسمة مع كل نظرة لاهوتية قروسطية (٥٩) صادرت كيان الإنسان باسم الإيمان! وتمثل في الوقت نفسه تأسيساً لفلسفة جديدة – لرؤية جديدة – تحل الإنسان محل المركز من الوجود بعد أن كان من الوجود على هامشه (٦٠).

أي أن الأنسنة مثل ما يقول **علي حرب** : " هي ثمرة لعصر التنوير والانقلاب على الرؤية اللاهوتية للعالم والإنسان، أي هي ثمرة رؤية دنيوية ومحصلة فلسفة علمانية ودهرية، بهذا المعنى فإن الأنسنة هي الوجه الآخر للعلمنة" (٦١).

يقول **أدونيس** أشهر دعاة الفكر الحداثي : " لا يقدر الشعر أن ينفتح

---

٥٩ - كلمة مولدة مكونة من دمج كلمتين هما قرون ووسطى نسبة إلى القرون الوسطى فالحداثيون يصرون على تحليل الإسلام في ضوء النصرانية الكنسية والقرون الوسطى التي ارتبطت في أذهان الغرب بالتصور المظلم والمرعب عن الدين.

٦٠- العرب والحداثة دراسة في مقالات الحداثيين عبد الإله بلقزيز ص٦٢ مركز دراسات الوحدة العربية بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

٦١- حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، علي حرب ص ٧٣ المركز الثقافي العربي بيروت طبعة عام ٢٠٠٤م.



ويزدهر إلا في مناخ الحرية الكاملة، حيث الإنسان هو مصدر القيم لا الآلهية ولا الطبيعة، بل الإنسان وحده فقط هو الكل على الإطلاق والحقيقة" [٦٢].

والمقصد الأساسي من هذا هو هدم الدين باسم النقد ومحو الإسلام باسم الابداع والحرية، ورفع شعار العقلانية واحتكام الإنسان إلى العقل في كل ما يحيط به، وإعلاؤه على أي مصدر آخر من مصادر المعرفة.

ويرى أركون أن " الفكر العربي الإسلامي لا يمكنه الانفتاح على العقلانية الحديثة بشكل فعلي ودائم وناجح إلا بتفكيك مفهوم الدوغمائية ومفهوم الأرثوذكسية، الخاصين بتراثه هو بالذات وما دام المؤمن سجين الإيمان، وما دام الإيمان الأرثوذكسي سجين المقولات الميثولوجية القروسطية، وغير قادر على فتح كوة أو ثغرة على الخارج، أي على العقلانية العلمية والفكر التاريخي فسوف يراوح مكانه"[٦٣].

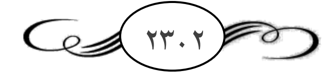
فالعقل الإسلامي بانفتاحه على العقلانية الحديثة يكون قد تملك النهج الصائب في تحرير إدراكه من مفهومي الدوغمائية الأرثوذكسية، والدوغمائية تعني " الوثيقة " هي مذهب يثق بالعقل وبقدراته على إدراك الحقيقة والوصول إلى اليقين .. دون التفكير في إمكان اشتمالها على الخطأ والضلال" [٦٤].

وهي حالة من الجمود الفكري حيث يتعصب فيها الشخص لأفكاره الخاصة لدرجة رفضه الإطلاع على الأفكار المخالفة، وإن ظهرت له الدلائل التي تثبت له أن أفكاره خاطئة سيحاربها بكل ما أوتي من قوة، ويصارع من أجل اثبات صحة أفكاره وآرائه.

٦٢- من مقال بعنوان الأدب العربي المعاصر لأدونيس ضمن أعمال مؤتمر روما ص ١٨٢ الطبعة الأولى ١٩٦٢م منشورات أضواء باريس.

٦٣- محمد أركون ومشروعه النقدي محمد بوراس ص١٠٤ مجلة البيان العدد ١٧٩.

٦٤- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية جلال الدين سعيد ص١٩١ دار الجنوب تونس.



وبهذا المعنى إذا ما تم تخلص العقل الإسلامي من دوغمائيته فلن يبرح مكانه ويظل حبيس تصوراته ومنطلقاته المنحصرة في زاوية إدراكه، وكذا تحرره من الأرثوذكسية التي تفرض خطًا واحدًا من التأويل والتفسير، فبمجرد التخلص منهما خرج من دائرة الجمود والانغلاق.

والمقدس الذي تسعى الأنسنة إلى إحداث القطيعة معه وفك الارتباط به، قد يكون مقدسًا دينيًا، وقد يكون مقدسًا سياسيًا، وقد يكون مقدسًا معرفيًا، وقد يكون مقدسًا تاريخيًا (٦٥).

أنسنة النص :

لقد دعى محمد أركون إلى أنسنة النص من خلال مشروعه " الإسلاميات التطبيقية : وهي عبارة عن ممارسة علمية جديدة متعددة الاختصاصات. " تتكى على ثلة من المعارف المرتبطة بحقول معرفية متباينة، بغية تحليل الخطاب الديني وتفكيكه، ثم إعادة تركيبه وفق رؤية تاريخية وأنثربولوجية، وسوسيولوجية، تروم إخراج الظاهرة الدينية من حالة الجمود التي اضفاها عليها العقل الإسلامي الأرثوذوكسي الدوغمائي، ثم إعادة موضعتها داخل التاريخ ومساره " (٦٦).

وأنسنة النص عند أركون هي التعامل معه كنص تاريخي، أي كنص متجسد في لغة بشرية، وإعادة النظر في قداسته، والكشف عن آليات تعاليه، من خلال البحث عن طبيعته اللغوية، وتاريخ تكوينه، وفهمه فهمًا عقليًا من خلال معطيات العصر (٦٧).

٦٥- الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون د/ كحيل مصطفى ص١٥٥.

٦٦- انظر الإسلاميات التطبيقية ومهام العقل الاستطلاعي عبد المجيد خليقي ص١١١ مجلة الأزمة الحديثة العدد٣ ، ٤ سنة ٢٠١١م.

٦٧- انظر الأنسنة والتأويل ص ١٥٦، ١٥٩.



وأنسنة النص تقوم على معارضة فلسفة التعالي والمفارقة وكل فلسفة تحيل البشرية إلى عالم آخر غير هذا العالم الذي يعيش فيه الإنسان.

لذا نرى أركون يفصل ويميز بين كلام الله المطلق اللانهائي والكلام النسبي المصاغ في لغة بشرية (٦٨).

حيث يقول : الكلام المطلق : هو " كلام الله في كليته ونهائيته لا ينفد ولا يمكن استنفاده، ونحن لا نعرفه بكليته، فأنواع الوحي التي أوحيت بالتتالي إلى موسى وأنبياء التوراة، ثم عيسى، وأخيرًا إلى محمد ليست إلا أجزاء متقطعة من كلامه، ونظرية " الكتاب السماوي " التي نجهلها ليست إلا رمزًا للقول بأن هناك كتابًا آخر يحتوي على كليانية كلام الله " أم الكتاب " ... فمهما يكن من أمر فإننا نجد في الخطاب القرآني تجليا أرضيا لكلام الله المحفوظ ذاك " (٦٩).

والكلام النسبي : وهو الكلام المصاغ في لغة بشرية هي اللغة العربية في القرن السابع الميلادي، والمتجلي في التاريخ الأرضي للمخلوقات إنه الكلام المنسوخ باليد على الورق، والمجموع في كتاب مجلد يدعى المصحف.

جعل أركون بهذا التمييز كلام الله الذي هو في اللوح المحفوظ والمتعالى عن أي تاريخية ويتمتع بالقداسة العليا بحيث يعجز أي جنس بشري على الوصول إليه، **أما الوحي** فيمثل جزء من كلام الله المتجسم عبر التاريخ في قالب لغوي بشري يخدم الإنسان على وجه هذه الأرض، فهذا الوحي يحمل بعدًا تاريخيًا، ما دام بنية لغوية جاءت على ألسنة الأنبياء الذين هم من الجنس البشري،على حد قول منكري الوحي في عصور النبوة " أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً

---

٦٨ - أصول هذه الفكرة تعود إلى المعتزلة في نظريتهم القائلة بخلق القرآن ولكن مع وجود فارق بين كلام أركون ورأي المعتزلة.

٦٩- العلمنة والدين محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص٨٣ الطبعة الثالثة ١٩٩٦م دار الساقي بيروت.



" وبما أنه حمل هذا الوحي بعدًا تاريخيًا، فهو يفقده القداسة التي استلهمها من كلام الله المحفوظ والمتعالى عن أي نمط بشري وعن التاريخية.

والكلام الإلهي المقدس يصبح في متناولنا عندما يتم وضعه في لغة بشرية بداية من اللحظة التي نطق فيها النبي محمد (ﷺ) بالوحي، لأن " المتعالي لا يتجلى إلا في التاريخ والمقدس لا يظهر إلا عبر الدنيوي والوحي الإسلامي إنما نطق به عربي فهو إذن خطاب عربي فضلًا عن أن حيثياته أو بالأحرى إحداثياته، أي أسباب نزوله تحيل دومًا إلى أحداث وممارسات تقع في الهنا والآن، وإلى ذوات مشدودة إلى الزمان والمكان، ومن هنا أناسية الوحي وزمنيته " (٧٠).

ويتفق محمد أركون مع عبد المجيد الشرفي ونصر حامد (أبو زيد) وغيرهم من الباحثين العرب الذين دشنوا قراءات حداثية في الفكر الإسلامي، على ضرورة إدراج اللغة، أي لغة الوحي والثقافة، أي التصورات الثقافية التي يتضمنها، والتاريخ في كل محاولة لفهمه ووضعه في سياقه التاريخي والبشري مما يؤدي إلي إزالة القدسية عن النص الإلهي، وتحويل الإلهيات إلي إنسانيات.

يقول **عبد المجيد الشرفي** أن لكلام الله معنيان وهما " الصفة الإلهية المتعالية التي لا يمكن حصرها في لغة بشرية من دون الوقوع في التجسيم من ناحية، والرسالة النبوية التي مصدرها الله، ولكنها مؤطرة في الزمان والمكان فيبلغها إنسان له كامل شروط الإنسانية، يفكر ويشعر ويتخيل " (٧١).

ويقول **نصر حامد أبو زيد** : " إن النصوص الدينية كانت أم بشرية محكومة بقوانين ثابتة، والمصدر الإلهي للنصوص الدينية لا يخرجها عن هذه

٧٠- الأنسنة والتأويل ص ١٦١،١٦٢.

٧١- الإسلام بين الرسالة والتاريخ عبد المجيد الشرفي ص٣٩ الطبعة الأولى ٢٠٠١م الناشر دار الطليعة بيروت.



القوانين لأنها تأنسنت منذ تجسدت في التاريخ واللغة وتوجهت بمنطوقها ومدلولها إلى البشر في واقع تاريخي معين " [٧٢].

لذا يجب التمييز بين النص في بعده المتعالي والنص متحققًا في التاريخ، أي في لغة معينة، وثقافة معينة لأنه لا يمكن أن نفصل اللغة عن مضامينها الثقافية والاجتماعية والرمزية، والنظرية والعلمية، هذه المضامين هي التي تضمن تداولها بين الناس، لأنها إذا لم تصبح من مكونات رؤية الوجود وإدراك العالم تنعدم وظيفتها.

لذا فنحن أمام وحيين وحي إلهي لا يمكن الوصول إليه أو تصوره ، ووحي يتصل بالبشر يصح عليه التغير وسيطرة العقل البشري عليه بالتوجيه ليتفق مع التطور البشري ويكون مسايرا لذلك، وهذا أو ذاك مما لا يقبل في الثقافة الإسلامية، إذ العقل لا يحيل تواصل السماء بالأرض على وجه ييسر التلقي عن الله بما أن اللغة بأشكالها وصورها من خلق الله أصلا أو من أسباب أوجدها الله تعالى ،كما أن المتغير من الوحي إذا اتفقنا مع هؤلاء يكون في الفروع وليس في الأصول ، والفروع واستنباط الأحكام أمر تقره الثقافة الإسلامية وعلى كل حال فقد حاول أركون – كما سبق بيانه – تطبيق المنهج النقدي على النص القرآني حيث قال : " ويمكن أن نطبق منهج النقد الأدبي على النصوص الدينية ..." ثم قال : " إن هذه المنهجية النقدية ضرورية، بل وقد تكون في بعض الأحيان أكثر إضاءة وفائدة من تحليل النص نفسه واكتشاف كيفية تمفصل المعنى فيه من خلال الأساليب اللغوية والبيانية، بمعنى أن هناك نوعين من النقد الآن : نقد النص من جهة مؤلفه ومعناه اللغوي والحرفي الملاصق، ونقد النص من جهة متلقيه وقرائه " [٧٣].

٧٢- نقد الخطاب الديني نصر حامد أبو زيد ص١١٩.الطبعة الثانية ١٩٩٤م سينا للنشر.

٧٣- الإسلام أوربا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص٢٦ الناشر دار الساقي الطبعة الثانية ٢٠٠١م.



وهذا المنهج حسب أركون سوف يؤدي إلى إثبات تاريخية الإسلام المجمد التقليدي الذي يقف فوق الزمان والمكان يقول أركون : " إذا ما طبقنا المنهجية التاريخية والسوسيولوجية " أو الاجتماعية " نجحنا في جعل ما يبدو أنه فوق التاريخ أي " الإسلام" شيئًا أشكاليًا، مندمجًا داخل الزمان والمكان وداخل الصيرورة التاريخية للوجود، وإلا فإن مفهوم الإسلام سوف يظل مفهومًا مجمدًا تقليديًا، يقف فوق الزمان والمكان وكأنه لا علاقة له بالتاريخ " [٧٤].

فأركون يريد أشكلة الإسلام ونزع البداهة عن تراثه ثم بعد ذلك ينقده تاريخيًا، فمن يستحق النقد إذا؟ الإسلام البدهي كفكر وعقيدة ورسالة أم الإسلام الأركوني المؤشكل؟ هذا تناقض عجيب، ولم هذا النقد الأركوني للإسلام وتراثه؟

يجيب أركون " إن النقد التاريخي واللاهوتي والفلسفي للأرثوذكسية الإسلامية بكل أنواعها يشكل الشرط الضروري الذي لا مندوحة عنه، من أجل تغيير الوضع في أرض الإسلام، أي من أجل الانتقام من مرحلة الفكر الإسلامي المغلق والدوغمائي، الذي يهيمن علينا اليوم، إلى مرحلة الفهم الحديث والواسع للظاهرة الدينية " [٧٥].

فأركون يزعم أن إثبات تاريخية الإسلام وتراثه وجموده وانغلاقه ستؤدي إلى مرحلة الفهم الحديث والواسع للظاهرة الدينية، والتي مؤادها توحيد الأديان عن طريق ما يدعيه بالعلمنة الإيجابية، التي لا تفصل بين دين ودين آخر، أيا كان هذا الدين سماويًا أو وضعيًا، كما ولا تفصل مذهب على مذهب آخر.

وأركون يرفض صلاحية القرآن وعمومه لكل زمان ومكان، بل يعتبر أن هذه الخاصية لا تكون إلا للوح المحفوظ، ويرفض الاستشهاد به في كل ما يستجد من أمور، ويرفض أيضًا أحاديث النبي (ﷺ) التي فصلت ما أجمل في

٧٤ - الإسلام، أوربا، الغرب محمد أركون ص٦٧

٧٥ - الإسلام، أوربا، الغرب محمد أركون ص٩٩.



القرآن الكريم، ويرفض تفسير العلماء للقرآن الكريم ويعتبر كل ذلك تلاعب بالقرآن.

ولقد عمد أركون إلى وصف القرآن بوصف يخرجه عن قدسيته وهو مصطلح الظاهرة القرآنية، فأراد التمييز بين الظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية، أو بين الحدث القرآني والحدث الإسلامي وهذا بدلًا من مصطلحي القرآن والإسلام.

حيث قال : " استخدمت هنا مصطلح " الظاهرة القرآنية " ولم استخدم مصطلح " القرآن " عن قصد، لماذا ؟ لأن كلمة " قرآن " مثقلة بالشحنات والمضامين اللاهوتية، وبالتالي فلا يمكن استخدامها كمصطلح فعال من أجل القيام بمراجعة نقدية جذرية لكل التراث الإسلامي، وإعادة تحديده وفهمه بطريقة مستقبلية استكشافية، فأنا اتحدث هنا عن الظاهرة القرآنية كما يتحدث علماء البيولوجيا عن الظاهرة البيولوجية أو الظاهرة التاريخية " [٧٦].

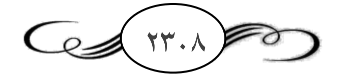
وقد تبعه في ذلك **نصر حامد أبو زيد** حيث قال : " ومن خلال هذه الحقائق يمكن أن نصل إلى تحليل علمي لظاهرة النص " [٧٧].

ومحمد عابد الجابري حيث يقول : " فالظاهرة القرآنية وإن كانت في جوهرها تجربة روحية، نبوة ورسالة، فهي في انتمائها اللغوي والاجتماعي والثقافي ظاهرة عربية، وبالتالي يجب أن لا تنتظر منها أن تخرج تمامًا عن فضاء اللغة العربية، لا على مستوى الإرسال ولا مستوى التلقي" [٧٨].

٧٦- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ١٩٩، ٢٠٠ ، وانظر أيضًا الإسلام، أوربا، الغرب محمد أركون ص٤٩.

٧٧- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن نصر حامد أبو زيد ص٢٤ الطبعة الأولى ٢٠١٤م الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب.

٧٨- مدخل إلى القرآن الكريم محمد عابد الجابري ج١ ص٢٤ الطبعة الأولى ٢٠٠٦م الناشر مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.



فاستبدال لفظي القرآن والإسلامي بمصطلحي الحدث أو الظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية ضروري عنده " لكي نضع على مسافة نقدية كافية تلك الظواهر المعقدة التي تراكمت بمرور الزمن وتكثفت مؤخرًا في كلمتين مشحونتين جدًا : كلمة " إسلام " وكلمة " قرآن " وهذا العمل يتطلب منا اختراق العصور لكي نتوصل إلى المعنى الأصلي في طزاجته الأولية " (٧٩).

وهذا الاستبدال العبثي الذي يفعله أركون غير مقبول، ولابد من التأكيد على أن القرآن الكريم ليس ظاهرة وإنما هو وحي منزل من عند الله، وألفاظه ليست مصطلحات بل مفردات منزلة، ذلك لأن المصطلح مواضع بشري اتفق عليه أهل العلم أو الحرفة أو الصنعة.

والظاهرة القرآنية تعني من وجهة نظره أن " الله يقدم نفسه للإنسان عن طريق اللغة العربية، ليعرف ويدرك ويشعر به، وكأنه الشخص الأعظم الذي لا يستطيع الإنسان الوصول إليه إلا عن طريق ما يعرف عند الفلاسفة والمتصوفة بالتأله، أو الإنسان الكامل المتجسد في هذا الله، الذي يتجلى عن طريق الوحي لكي يقدم الإنسان نحو العشق بلغة الصوفية " (٨٠).

فهل قصد أركون هنا أن العقل يستغنى بالرياضيات والمجاهدات عن النبوة في الوصول إلى معرفة الله ؟ أو أنه يقصد استحالة الوصول إلى الله إلا عن طريق منهج الفلاسفة؟ وينبغي العلم أن المعرفة التي يبتغيها أركون ليست هي معرفة الصوفية التي تقوم على مجاهدة النفس، وإنما فيما يبدو لنا أنها مجرد إدراك أن لهذا الكون إلهًا وهذا واضح في القرآن لا يحتاج إلى كل هذا التعسف من أركون وأمثاله من الحداثيين.

٧٩- انظر الإسلام ، أوربا ، الغرب محمد أركون ص٦٧.

٨٠- الفكر الأصولي محمد أركون ص٢١٠.



أما الظاهرة الإسلامية : " فتهتم فقط بالجانب التقديسي من الظاهرة القرآنية لكي تستغل هذا الجانب التقديسي من أجل خلع التقديس والروحانية والتعالي والانطولوجيا [٨١] والأسطرة والأدلجة على كل التركيبات العقائدية، وكل القوانين التشريعية والأخلاقية والثقافية، وكل أنظمة المشروعية التي أنشأها الفاعلون الاجتماعيون " أي البشر " [٨٢].

فهو يقصد أن المسلمين عامة وأصحاب السلطة خاصة قدسوا القرآن، ثم عمموا هذا التقديس على كل جوانب الإسلام سواء تشريعاته وأخلاقه وثقافته وحتى أنظمة السياسة وغيرها.

ويهدف أركون من استبدال القرآن والإسلام بمصطلحي الظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية المزج بين مصطلحي القرآن والتاريخية لأن استخدام مصطلح القرآن بمفرده يراه ينزع عنه صفة التاريخية [٨٣] والتي يأبى هو ومن معه إلا أن يلصقه بالقرآن الكريم " [٨٤] ولتنظيف مفهوم الإسلام من كل التراكمات والإضافات الحشوية، وأنواع الخلط التي لحقت به على مر القرون، ويقصد أركون بها شروحات المحدثين والمفسرين لكتاب الله وسنة نبيه محمد (ﷺ).

إن أركون كغيره من العلمانيين يرى أن العقبة أمام تنحية القرآن العظيم هي جانب التقديس الذي يحول دون تلاعب العلمانيين، لذلك ركز أركون على

٨١- الأنطولوجيا Ontologie كلمة تعني علم الكينونة أو الوجود ولكنها تعني أيضًا المبادئ الأولى والتأسيسية التي لا مبادئ بعدها أو قبلها والقرآن بالنسبة للوعي الإسلامي هو وحده الذي يحتوي على هذه المبادئ الأولية انظر القرآن من التفسير الموروث ص١٤٢.

٨٢- المرجع السابق ص٢١١.

٨٣- التاريخية : تعني أن للأحداث والممارسات والخطابات أصلها الواقعي وحيثياتها الزمانية والمكانية كما تعني خضوع المصطلحات للتطور والتغيير أي قابليتها للتحول الصرف وإعادة التوظيف، انظر نقد النص علي حرب ص٦٥.

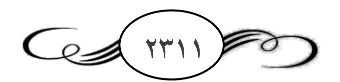
٨٤- الإسلام ، أوربا ، الغرب ص٤٩.



تحطيم هذه القدسية لأنه يريد التحرر من ربقة الدين، وتضييق دائرته لداخل جدران المساجد فقط كما فعل بالمسيحية من قبل، وهذا نابع من إيمان أركون بالنسبية المطلقة وتعدد الحق بتعدد عصوره، فالقول بنزع القدسية عن القرآن لأنها تحول دون فهمه، تبدو وكأن الله يكلم نفسه ويناجي ذاته، وتنتفي عن النصوص الدينية صفات الرسالة والبلاغ والهداية والنور ولا يمكن العمل بها " (٨٥).

هكذا أراد أركون من خلال دعوته إلى أنسنة النص إلى " زحزحة " المحرمات الفكرية و " اختراق اللا مفكر فيه، قصد تجاوز كل ذلك إلى أفق الحداثة الرحب، فهو يجزم القول : إنه لا يمكن بناء الحداثة دون تصفية الحساب مع " التراث اليثولوجي " – أي الإلهي – بل يرجع ظاهرة العنف والتطرف إلى شيوع التفسير الحرفي للنص المقدس، هذا التفسير الذي يلجأ إلى بتر الآيات من سياقاتها، وتحويل آثار المعنى إلى معنى مطلق لايطاله التغيير، عكس ما يستهدفه هو من إشاعة إسلام مبني على العقل المحمل ببذور التنوير، نازعًا مشروعية تدبيره عن حراس التفسير الحرفي والظاهري – قدماء ومحدثين – ولأن الحداثة لا تنفك عن العلمانية – لتلازمهما تلازم الروح والجسد – فهو يؤكد على جعل الإسلام شأنًا شخصيًا لا دخل للدولة، أو حتى الجماعة فيه، إنه يريد بهذا المشروع أن يزحزح مفهوم الحقيقة المطلقة، وذلك بتفكيك مسلمات التفسير اللاهوتي التقليدي، الذي يؤدي إلى " أسطرة القرآن " وإفقاده صفته التاريخية، لذلك يحتج على تنصيب القرآن مرجعًا أعلى ونهائيًا للبشر، وجعله يحتوي على الأجوبة والحلول النهائية للأسئلة التي يطرحها المسلمون، في كل زمان ومكان، فهو يخضع النص القرآني – بذلك – لمحك النقد التاريخي المقارن، وللتحليل

٨٥- انظر معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني د/ عبد القادر محمد الحسين ص٤٤٢ طبعة دار الغوثاني للدراسات القرآنية ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م دمشق.



الألسني، وللتأمل الفلسفي المتعلق بإنتاج المعنى " (٨٦).

" إن هاجس أركون الأصلي هو تفكيك النص القرآني لتعرية آلياته في الحجب والتحوير والتحويل، هاجسه هو خرق الممنوعات وانتهاك المحرمات التي سادت فيما مضى وتسود اليوم، والتي أمضت كل الأسئلة التي كانت قد طرحت في المرحلة الأولية والبدائية للإسلام، ثم سكرت وأغلق عليها فمطمح أركون هو نبش تلك الأسئلة والاعتراضات والمواقف التي جرى قمعها أو طمسها في عهد النبوة، وفي هذا إعادة اعتبار للذين أسكتهم خطاب الوحي من المشككين والمنكرين " (٨٧).

كما يرى أركون أن " تحرير الفكر الإسلامي من سياجاته العقائدية الخاصة به لا يمكن أن ينجح مادامت الأطر والأسس التاريخية القصصية للإيمان غير مهدمة، كما هدمت أسس الإيمان المسيحي منذ القرن الثامن عشر " (٨٨).

ففي هذا النص يعلن أركون صراحة إرادته لهدم الإسلام كليًا كما حدث في المسيحية فأدى بها إلى الإلحاد، وهذا ما يريد أركون تحقيقه بالنسبة للفكر الإسلامي بانتهاك أطره التقليدية الموروثة والمقدسة، فقد عمل أركون على نقدها وتفكيكها مستخدمًا المناهج الغربية كمناهج علم الألسينات الحديثة، وعلم النفس الأنثربولوجي، وعلوم الأديان المقارنة والأنثربولوجيا الدينية واللاهوت المقارن وغيرها (٨٩).

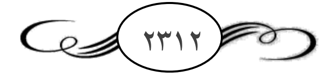
لذا لا ينبغي لقارئ أركون أن يعتد بتصريحاته عن القرآن، بل عليه أن

٨٦- الحداثيون والقرآن الكريم محمد أركون نموذجًا إبراهيم الطالب جريدة السيل المغربية العدد ١١٣ عام ٢٠١١م.

٨٧- انظر الفكر الإسلامي قراءة علمية محمد أركون ص٣١ وانظر كذلك أوهام الحداثة علي حرب ص٧٩.

٨٨- الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي محمد أركون ترجمة د/ محمود عزب ص٣٤ الطبعة الأولى ٢٠١٠م بيروت لبنان.

٨٩- الإسلام ، أوربا ، الغرب محمد أركون ص٢٠١، انظر أيضًا الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص ٣٧.



ينتبه إلى تفكيكاته، وأركون كما قال علي حرب : [٩٠] " هو أكبر مفكك للنص القرآني وللعقل اللاهوتي الذي جسده أو انبنى عليه ".

لقد لجأ أركون إلى المحاورة والمداراة عندما أراد استبدال الألفاظ المعروفة عندنا بمصطلحات أخرى غربية وغير معروفة، لأنه يريد أن يغير في المعنى من خلال التغيير في اللفظ، فمثلًا يسمي الآية القرآنية بالوحدة النصية لأن لفظ آية عنده مشحون لاهوتيًا فلفظ " آية " فيه قداسة، أما عندما يستبدلها بـــ " وحدة نصية " فقد زال عنها هذه الشحنة اللاهوتية بمعنى أنه رفع عنها القداسة، وهذا هو معنى التسوية بين النص القرآني والنصوص البشرية فأركون يستبدل هذه المصطلحات الألسنية الغربية بكلمات اللغة العربية والقرآنية المعروفة لدينا، لكي يتسنى له أن يصب انحرافاته على كتاب الله- تعالى- لقد أراد قراءة متشردة متسكعة للنصوص الدينية يقول أركون : " إن القراءة التي أحلم بها هي قراءة حرة إلى درجة التشرد والتسكع في كل الاتجاهات ... إنها قراءة تجد فيها كل ذات بشرية نفسها، سواء أكانت مسلمة أو غير مسلمة .. طالما عاب عليه الباحثون فوضاه ولكنها الفوضى التي تحبذ الحرية المتشردة في كل الاتجاهات " [٩١].

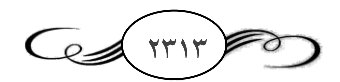
وهذا الحلم يجسد الفكر المنحرف من الغربيين اللا دينيين لدى أركون الذي تربى على أيديهم منذ نعومة أظفاره، وكان لهم الأثر الفعال في تكوين شخصيته فهو يريد أن يتحلل من النص كلية وكأن النص ليس له صاحب!؟.

ولم يقل لنا أركون من هؤلاء الباحثون الذين عابوا على القرآن فوضاه المزعومة؟ وما هي أسماؤهم؟ وفي أي موضع تكمن هذه الفوضى؟ وما هي الأدلة على الفوضى المزعومة؟ إن أركون من أسلوبه وطريقته لا يتمتع بصفة

---

٩٠ - أوهام الحداثة ص٧٨.

٩١ - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي محمد أركون ص٧٦ ترجمة هاشم صالح الطبعة الأولى ١٩٩٩م دار الساقي.



الناقد، بل بصفة العابث الساخط المتمرد الذي آساء استخدام إمكاناته العقلية والعلمية فجانب الصواب خدمة لأهوائه ورغبة في إرضاء الغرب.

حاول أركون بهذه القراءة أن يجرد الموروث الديني من أي خلفية كانت، وبذلك يتجرد الفكر الإسلامي من إيديولوجياته، ليتبلور من جديد وفق العصر الحديث والنزعة الإنسانية، فأنسنة الإسلام تعد امتداد لمشروعه، فأصر على التعامل مع النص القرآني تعاملًا مألوفًا واعيًا، ذلك ليصبح الإسلام فكريا إنسانيًا [٩٢].

تفكيك الفكر الحداثي لمفهوم الوحي ومصدره من المنظور الأركوني :

يبتدئ أركون دراسته باستعراض ما يقوله التراث الإسلامي عن الوحي ثم ينتقل بعدئذ إلى نقد هذا التصور أو أشكلته [٩٣] أو الكشف عن إهماله للبعد التاريخي والأنثربولوجي، وعندئذ يوسع المفهوم ويقدم عنه صورة جديدة كليا، وذلك بتفكيك [٩٤] المفهوم التقليدي للوحي، هذا المفهوم المسيطر على البشرية منذ آلاف السنين، وذلك قبل أن ينتقل إلى المرحلة التالية المتمثلة بإعادة تقييم هذا المفهوم المركزي وبلورة فهم آخر جديد له [٩٥].

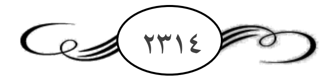
---

٩٢ - أركون ومشروعه النقدي عماد عبد الرازق ص١٧، ١٩ مجلة مؤمنون بلا حدود ج٢ الرباط المملكة المغربية.

٩٣- الأشكلة أي المفهوم إشكاليًا وتعني نزع البداهة عن التراث ووضعه على محك التساؤل والنقد من جديد أي جعلها إشكالية لا يقينية ولا نهائية بعد إن كان المفهوم يفرض نفسه علينا كشيء بديهي غير قابل للنقاش انظر الفكر الأصولي محمد أركون ص٢٢ ، ٩٢ ، القرآن من التفسير الموروث ص١٧.

٩٤ - أركون أراد أن يفكك المسلمات عن طريق أشكلتها والتفكيك عند أركون يجعل قارئ النص يعيد كتابته بشكل آخر بإثارة أسئلة لا يحتملها النص ويجيب عليها القارئ من هوى نفسه بإجابات جديدة قد لايكون لها وجود في النص والنتيجة نص جديد يختلف عن النص المقروء لا يمت له بصلة، ويختلف النص المقروء باختلاف قرائه وأحوالهم واستنطاق النص بما يريدون، انظر معايير القبول والرد عبد القادر محمد ص١٢٩.

٩٥- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني محمد أركون ص١٧.



فما هو المفهوم التقليدي للوحي عند أركون ؟

يرى أركون أن هناك مفهومًا تقليديًا شائعا للوحي عند كل المسلمين الذين وضعوا له مكانة مقدسة دون أن يسمح لمناقشة هذه المكانة، فهو يرى أن الوحي في القرون الوسطى من نزوله، مجسد في عبارتي " قال الله تعالى " والتي يبدأ بها المسلم عند الاستشهاد من القرآن الكريم، وعبارة " صدق الله العظيم " التي ينتهي بها.

يرفض أركون التحديد التقليدي المبسط للوحي – الذي هو بالنسبة للمؤمنين مفهومًا بديهيًا متعارف عليه لا نقاش فيه متضمناً لمبادئ معينة يجب إتباعها والتقيد بها – لأن معطيات هذا التحديد تنتهي إلى نتائج تبعد بينه وبين كل محاولة نقدية، أو إعادة النظر في مسألة مكانته المعرفية والوظيفية، ذلك يعني أنه " لا يوجد أي مجال للمناقشة حول التأليف، أو حول المكانة الإلهية لمضمون النص المستشهد به، أو حول تناسب الاستشهاد مع الموضوع أو مع الظرف الذي استشهدوا به من أجله " [٩٦].

ويدعو أركون إلى تجاوز المفهوم التقليدي للوحي[٩٧]، وإعادة النظر في التفسير والشروح الموجهة " للنص المقدس " بوجه عام، والنص القرآني والممارسة النبوية على وجه التحديد مستعيناً بما يسميه العلوم التحليلية، والإنسانية، والاجتماعية الغربية بمختلف تخصصاتها مثل اللسانيات، علم النفس، علم الاجتماع الفينومولوجيا، الأنثربولوجيا .. إلخ لأن القراءة القديمة في اعتقاد أركون تحول دون تحقيق التقدم الفكري بسبب عجزها المنهجي.

فالخطاب الديني في اعتقاده محصول معرفي كغيره، فيراه خاضع إلى كل ما تعرضه اللغة من تراكيب ودلالات، فالنص القرآني يمارس آلية الطمس

٩٦- المصدر السابق ص١٨.

٩٧- المصدر السابق ص١٨.



والحجب في مسألة إنشاء المعنى والحقيقة، ذلك لأنه ذا بنية أسطورية وتركيبة مجازية رمزية [٩٨].

لذا فإن أركون يهاجم الطريقة التقليدية لتعاليم الدين لأنها لم تعد مناسبة للعصر، ولأنها ترسخ وعيا قروسطيًا يمزق المجتمع أو يجعل وعيه مستلبًا ضائعًا، والحل من وجهة نظره : هو التعليم الحديث لتاريخ الأديان وعلم اجتماع الأديان وأنثربولوجية الدين [٩٩].

ومن أجل ذلك فإنه يدعو علماء اللاهوت " رجال الدين " إلى الانفتاح على كافة الأديان الموجودة في العالم وليس على دينهم فقط، فالمقارنة بين عدة أديان أو عدة أنظمة لاهوتية هي التي توسع آفاق عالم اللاهوت، وتجعله يطلق أحكامًا رزينة وعميقة على تجربة الإنسان مع الدين أو مع التقديس [١٠٠].

إن أركون لا يفرق بين دين سماوي صحيح وآخر محرف بل لا يفرق بين الأديان السماوية والوضعية فهو يقول " لا تهمني مضامين العقائد والمذاهب بحد ذاتها، فالمضامين والتفاصيل قد تختلف، ولكن الآليات واحدة [١٠١].

وذلك لأن " فرضية الله أو وجود الله ليست ضرورية من أجل العيش، وبالتالي فالوحي يشكل معطى أو ظاهرة مثله في ذلك مثل أي معطى آخر [١٠٢].

" فلا ينبغي علينا أن نفرق بين الأديان السماوية وأديان الوحي " [١٠٣].

٩٨- نقد النص علي حرب ص١٠٧ المركز الثقافي العربي طبعة عام ١٩٩٥م.

٩٩- أين هو الفكر الإسلامي ؟ محمد أركون ص٥٣.

١٠٠ - الفكر الأصولي محمد أركون ص٢٥٥.

١٠١- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ص٢٩٣.

١٠٢ - العلمنة والدين محمد أركون ص٧٢.

١٠٣ - العلمنة والدين محمد أركون ص٢٣.



والآليات المشتركة عند جميع الأديان حسب النظرة الأركونية تتمثل في أن " كل دين يعلن عن نفسه بأنه وحده المرضي عنه عند الله، ولا يخطر على بال أتباعه إطلاقًا أن يشكوا بهذا المزعم، أو أن يعتقدوا بأنه لا أساس له من الصحة، لا يخطر على بالهم التفكير بأنه مجرد تركيبة لاهوتية دوغمائية خاصة بالإيمان الفئوي الطائفي السائد في كل دين من هذه الأديان الثلاثة، فالبحث التاريخي والعلمي المعاصرين سوف يدحض هذا الاعتقاد وبسهولة [١٠٤].

لقد وضع أركون الدين الإلهي الذي مصدره الوحي بين فلسفات ونحل وضعية ليشير إلى أنه لا مقدس ولا موحي به بل الكل عرضة للنقد ولم يفرق بين ما هو إلهي وما هو بشري ولا ما هو مقدس، وما هو وضعي إذا يقول : " هناك نظام معتزلي حنبلي، إمامي، إسماعيلي سني، صوفي، فلسفي .. علماني، أصولي، ماركسي، فرويدي، بنيوي، كاثوليكي تلمودي، بوذي ... إلخ للحقيقة، والعولمة كمرحلة تاريخية جديدة من مراحل الفكر تفتح لأول مرة المجال من أجل المقارنة، بين أنظمة الحقيقة التي سيطرت على البشر عبر التاريخ، وهي إذ تفعل ذلك، تخضع كل نظام لمنهجية الحفر الأركيولوجي [١٠٥] العميق من أجل الكشف عن البنيات التحتية المدفونة، التي انبنت عليها الحقائق السطحية الظاهرة، وهذه المرة لا يمكن استثناء أي نظام من أنظمة الحقيقة بحجة أنه إلهي منزل، وغيره بشري زائل، أو دنيوي عرضي، لا فجميع التراثات الدينية سوف تخضع

١٠٤- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية محمد أركون ص٨٧، ٨٨.

١٠٥ - الحفر الأركيولوجي : عند أركون هو دراسة الماضي لكي نحييه من جديد وكأننا نراه بأم أعيننا انظر الفكر الأصولي محمد أركون ص٤٣ وهو مصطلح تكلم به الفيلسوف ميشيل فوكو ومعناه التعبير عن فرع علمي يدرس الحضارات القديمة من حيث آثارها المادية والثقافية ويعتمد على طرائق مختلفة في البحث والتنقيب انظر المدونة الإلكترونية أحمد حمدي حسن حافظ ٢٠١٢م ويكبيديا الموسوعة الحرة.



لمنهجية النقد التاريخي والحفر الأركيولوجي في الأعماق، وإذا كان هناك نظام للحقيقة يستحق الاستثناء، فسيجبر لا محالة، على أن يجدد بيانه وبراهينه وتأصيله، بحسب ما تقتضيه عولمة الذهن البشري وما يصاحب ذلك من المعرفة الكونية العالمية " (١٠٦).

التحليل الفينومولوجي للوحي من المنظور الأركوني :

عمد أركون إلى توضيح مفهوم الوحي من خلال فلسفة الظواهر (١٠٧) " الفينومينولوجيا " تلك الفلسفة التي ترفض التفسيرات الميتافيزيقيا التقليدية التي تفرضها الأديان المقدسة وترسخها في الأذهان، وتتمثل أبرز المفاهيم الظاهراتية أو الفينومينولوجية في مفهوم التعالي، وهو السمة التي تطغى على الفكر الظاهراتي ويريد به هوسرل " أن المعنى الموضوعي ينشأ بعد تكون الظاهر معنى محضا في الشعور، أي بعد الإرتداء من عالم المحسوسات الخارجية المادية إلى عالم الشعور الداخلي (١٠٨).

فقد أيد أركون مفهوم التعالي من أجل فهم وإدراك الظواهر في شكلها المحسوس وتجسدها شعوريًا فقد هدف إلى فهم وإدراك الوحي، فضلًا عن ذلك في تبني أركون لهذا التحليل، لأن مهمة الفينومينولوجيا تنحصر في " دراسة الشعور الخالص وأفكاره القصدية باعتباره مبدأ كل معرفة " (١٠٩).

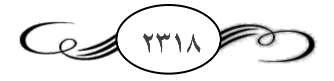
---

١٠٦ - انظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص٩ وما بعدها.

١٠٧- فلسفة الظواهر أو الفينومينولوجيا Laphenom enologia : يشير هذا المصطلح إلى مذهب الفيلسوف الألماني هوسرل Edmund Hasserl كما يشير إلى تيار فكري ينطلق من تصورات هذا الفيلسوف والمنهج الذي اعتمده، وقامت الفينومينولوجيا على نقد الميتافيزيقا الكلاسكية داعية أساسًا للرجوع إلى ما هو محسوس وعيني انظر معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية جلال الدين سعيد ص٣٥٢ الناشر دار الجنوب.

١٠٨- نظرية التلقي أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح ص٣٤، ٣٥ الطبعة الأولى ٢٠٠١م المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

١٠٩- المرجع السابق نفس الصفحة.



فأركون طبق التحليل الفينومينولوجي ذلك بوصف ظاهرة الوحي وصفًا دقيقًا كما هو عليه زمانًا ومكانًا، دون اللجوء إلى التنقيب في الدوافع والقواعد والمعايير التي تحكم هذه الظاهرة وهذا التفسير الكلاسيكي للوحي الذي تحكمه الأطر الأرثوذكسية الدوغمائية، التي تعتقد أنها تحيط بالمعنى المستقيم، وما عداها لا يحتذى به، ولكنه يفتقد إلى مرتكزات العلوم الإنسانية وغيرها، فهذه القراءة تنطوي تحت أسس ومسلمات تفتح أفاقًا غير مألوفة لتفسيرات وتأويلات استكشافية لم تطبق بعد على النص القرآني [١١٠].

انتقال الوحي من مرحلة التلفظ الشفهي إلى النص المكتوب :

يرى أركون أن الوحي في بدايته عبارة عن تلفظات شفهية من قبل الله– تعالى– إلى العباد عن طريق وسيط ينقل هذا الكلام، **فبالنسبة للإسلام** يدعى هذا الوسيط بالنبي أو الرسول، **وفي المسيحية** يتمثل في يسوع المسيح، فيتم تدوين هذا الوحي الشفوي وتسجيله في الورق حتى يصبح كتابًا متداولًا يمكن قراءته وتفسيره [١١١] أي يتحول من " كلام إلى نص " [١١٢].

وأركون كغيره من الحداثيين يرى أن الإسلام عرض شفويًا، ثم كتب في المصحف حيث يقول : " إن الرسالات المنقولة بواسطة أنبياء إسرائيل يسوع المسيح، ثم بواسطة محمد [١١٣] كانت في البداية عبارة عن عبارة شفهية، سمعت وحفظت عن ظهر قلب من قبل الحواريين الذين مارسو دورهم في ما بعد كشهود ناقلين ما سمعوه وراوه، وفي كل الأحوال، وأيا تكن المكانة اللاهوتية

١١٠- انظر الأنسنة والتأويل مصطفى كحيل ص٤٥، ٤٦.

١١١- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني محمد أركون ص٢٥.

١١٢- العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب والجهود الفلسفية عند محمد أركون رون هاليير ص٩٤ ترجمة جمال شحيد ص١٦٧ الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١١٣- من الملاحظ أن أركون لم يعظم النبي (ﷺ) ولم يصلي عليه في أي ذكر له.



كتلفظ الأولى بالرسالة، فإنه قد حصل مرور من الحالة الشفهية إلى حالة النص المكتوب " (١١٤).

فبعد أن كان الوحي عبارة عن تلفظات شفهية دون في ظروف سياسية واجتماعية وثقافية فأصبح بذلك كتابًا عاديًا ملموسًا يمكن تفحصه وقراءته، فيتولد عن ذلك أمران خطيران : الأول يتعلق بنزع التاريخية والتعالي بهذا الحدث وتمجيده، والثاني يتمثل في التغيرات الجوهرية الحاصلة في النص القرآني نفسه، فأصبح متميزًا عن الخطاب الشفوي بسبب الاختلاف الموجود بين الكلام المسموع والنص المقروء، وبين الكلام الحاضر وصاحب النص الغائب " (١١٥).

والشفاهية لها آلياتها وأساليبها الخاصة المستخدمة في التوصيل واستقبال السامع له فتختلف بالتالي عن الكتابية.

ويعلم أركون أن هناك اختلافًا كبيرًا بين الأديان الثلاثة السماوية، وإن كان مصدرها واحد، لكنه يعمم أحكامه هذه على كل الخطابات الدينية، ويعتبرها رسالات شفهية تولى الأنبياء والرسل مهمة تبليغها إلى غيرهم، فحفظوها ثم دونوها بعد ذلك بناء على الذاكرة الشفهية للصحابة وللحواريين.

ويدعو أركون إلى ضرورة توظيف علم الألسينات، أو علم اللغة لأن الخطاب القرآني " لم يكن مكتوبًا في البداية، وإنما كان كلامًا شفهيًا أو عبارات لغوية شفهية، ينبثق على هوى المناسبات، والظروف المتغيرة، وقد استمر ذلك عشرين عامًا " (١١٦).

١١٤- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص٧٧ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

١١٥- محمد أركون المفكر والباحث والإنسان عبد الإله بلقزيز ص٩١، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان الطبعة الأولى ٢٠١١م.

١١٦- انظر العلمنة والدين محمد أركون ص٨٣.



وكل هذه التحويلات والأساليب اللغوية والأدبية والبلاغية التي اعتمدت في خلع تلك الصفة التقديسية المتعالية على الكتاب قد برهنت علميًا في التوراة والإنجيل، غير أنها لم تحصل في القرآن لحد الآن بسبب الظروف السياسية، والثقافية وغيرها السائدة في الظروف الإسلامية والمجتمعات العربية " (١١٧).

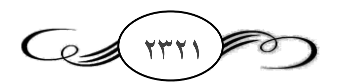
والمفهوم من كلام أركون أن الخطاب (الشفهي) يختلف عن الخطاب (الكتابي) وهذا بسبب تأثره بما جاء في الألسينات الحديثة والأنثربولوجيا من مفاهيم أكدت أن عملية النقل، والتكرار للكلام يؤدي إلى التحريف، والتحوير للحقيقة، وللواقع أثناء الانتقال من المرحلة الشفهية إلى المرحلة الكتابية، وبالتالي يجب إخضاع القرآن والوحي للنقد التاريخي، والتحليل الألسني التفكيكي، والدليل على ذلك قوله : " وفي أثناء عملية الانتقال من التراث الشفهي إلى التراث الكتابي، تضييع أشياء، أو تحور أشياء، أو تضاف بعض الأشياء، ولأن كل ذلك يعتمد على الذاكرة البشرية " (١١٨).

فمن خلال هذا الانتقال من مرحلة الشفهي إلى مرحلة المكتوب يشكك أركون في هذه المسألة ويطرح العديد من عمليات الحذف والتلاعبات التي تحصل على مستوى نص الوحي بسبب التدخل البشري : " فهو لم يتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائما في مثل هذه الحالات، فليس كل الخطاب الشفوي يدون وإنما هناك أشياء تفقد أثناء الطريق، نقول ذلك ونحن نعلم أن بعض المخطوطات قد أتلفت كمصحف ابن مسعود مثلًا، وذلك لأن عملية الجمع قد تمت في ظروف حامية من الصراع على السلطة والمشروعية " (١١٩).

١١٧- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص٢٦.

١١٨- قضايا في نقد العقل الديني كيف تفهم الإسلام اليوم محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص٢٣٢ الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م دار الطليعة بيروت لبنان.

١١٩- المرجع السابق ص١٨٨.



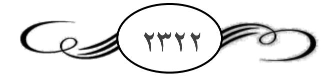
فعملية النقل تمت ضمن ظروف صراعية حول السلطة، فلم يكن النظر إلى مثل هذه المسائل شديد الأهمية، فحدث الحذف وبعض التلاعبات اللغوية أثناء عملية نقل الخطاب الشفوي إلى خطاب مكتوب، ويضرب أركون مثالًا على ذلك في ضياع بعض المخطوطات في مصحف ابن مسعود.

فهذه الإشكالية جعلت أركون ينزع القداسة عن الوحي، واعتبر أنه يمكن التلاعب في أحداثه اللغوية وظروفه المحيطة، وهو أمر يصعب التعامل معه من ناحية أن العقل الإسلامي لا يستسيغ الفكر الحديث الذي يمس الجانب العقائدي، فبالنسبة للمسلمين مازالوا يمارسون الدوغمائية إلى حد اليوم، يؤمنون بالمعتقدات التقليدية الموروثة.

وقد انتهت مرحلة الخطاب الشفهي الصادر عن الله تعالى بوفاة الرسول (ﷺ) أما تبليغ الرسول (ﷺ) للوحي إلى الصحابة (رضوان الله عليهم) وما جاء بعد ذلك من تلاوة للقرآن أو استشهاد بآياته فإن : " هذين النمطين من الاستخدام الشفهي، يختلفان لغويًا عن المرة الشفهية الأولى، حيث نطق محمد بن عبد الله بالآيات القرآنية أو بالمقاطع والسور على هيئة سلسلة متتابعة أو وحدات متمايزة ومنفصلة على مدار عشرين عامًا [١٢٠].

ويضع محمد أركون مقابلة بين القرآن والنبي عيسى – عليه السلام – فنراه يقول : " فالذي يقابل المسيح لدى المسلمين ليس هو النبي محمد على عكس ما يتوهم وإنما هو القرآن لماذا ؟ لأن المسيح لدى المسيحيين أكثر من نبي، على عكس محمد الذي هو نبي فقط بل وبشر، أما يسوع المسيح فقد تجسدت فيه كلمة الله أو الأب، أو الروح القدس، وبالتالي فله طبيعة فوق بشرية أي إلهية تمامًا كالقرآن، هكذا نجد أن الله تجسد لدى المسيحين في شخص بشري

١٢٠- انظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص٣٨ مرجع سابق.



هو عيسى بن مريم، وتجسد لدى المسلمين في نص لغوي هو القرآن " [١٢١].

ولهذا وجب على المسلمين أن ينزعوا عن القرآن هالة التقديس، كما نزعت من النص التوراتي والإنجيلي من قبل ويثبتوا له الطبيعة البشرية.

ورغم تعهد الله بحفظ القرآن الكريم﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [١٢٢] ورغم تميزه عن التوراة والإنجيل إلا أن أركون يسوي بين المحفوظ والمحرف، ويطلق أحكاما عامة فيما يخص الكل، هذا بالإضافة إلى توظيفه مصطلح جديد بدل الخطاب الديني " الوحي" إلى ما سماه بالخطاب النبوي والذي يعني : " النصوص المجموعة في كتب العهد القديم والأناجيل والقرآن، كمفهوم يشير إلى البنية اللغوية السيميائية للنصوص لا إلى تعريفات وتأويلات لاهوتية عقائدية " [١٢٣].

ويرى أركون أن هذا الخطاب النبوي يقيم فضاء من التواصل بين ثلاثة أشخاص قواعدية : أي ضمير المتكلم الذي ألف الخطاب في الكتاب السماوي، ثم الناقل بكل إخلاص وأمانة لهذا الخطاب والذي يتلفظ به لأول مرة " النبي " ثم ضمير المخاطب الثاني الذي يتوجه إليه الخطاب " الناس " والمقصود بالناس هنا الجماعة الأولى التي كانت تحيط النبي والتي سمعت القرآن من فمه لأول مرة"[١٢٤].

يبين أركون أن مفهوم الخطاب النبوي قد نحت على أساس التحليل الألسني والسيميائي للخطاب الديني المتجلي في التوراة والإنجيل والقرآن، لذلك يجده منطبق على الكتب الدينية الثلاثة لأنها تتميز بخصائص لغوية وسيميائية، دلالية،

١٢١- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص٢٣.
١٢٢- سورة الحجر آية٩.
١٢٣- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص٥.
١٢٤- انظر الفكر الأصولي وإستحالة التأصيل محمد أركون ص٣.



مشتركة ومتشابهة وبالتالي هذا التمييز يتيح التجاوز المعرفي لكل الآراء اللاهوتية الشائعة عن مفهوم الوحي " (١٢٥).

وقد أطلق أركون على النص المكتوب ألا وهو المصحف اسم المدونة الرسمية النصية المغلقة، ومعنى كونها " **رسمية** " أي أنها اعتبرت صحيحة من قبل السلطات السياسية التي فرضتها فصارت بذلك رسمية، **ومغلقة** : لأنه لم يعد مسموحًا لأي شخص في العالم أن يضيف إليها أي شيء آخر أو يجتزئ منها أي شيء آخر " (١٢٦) **وهذا واضح من تعريفه للمصحف بأنه** : " الشيء المادي الذي نمسكه بأيدينا يوميًا والمقابل للتوراة والأناجيل، فهو كتاب مؤلف من صفحات سجل فيها الخطاب القرآني بالخط المعروف، رسخت هذه النصوص على هيئة مدونات نصية رسمية مغلقة، **رسمية** : لأنها متولدة عن مجموعة من القرارات المتخذة من قبل السيادات المأذونة والمعترف بها من قبل الطائفة، **ومغلقة** : لأنها لم يعد مسموحًا لأي كان أن يضيف إليها أي كلمة أو يحذف منها أي كلمة، أو يعدل في المصحف أي قراءة معترف بأنها صحيحة (١٢٧).

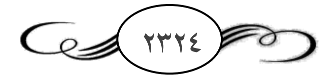
هكذا يرى أركون أن انتقال الوحي من القرآن إلى المصحف، هو أول حدث يثبت التدخل البشري في تغيير الوحي عن طريق التلاعبات اللغوية وعمليات الحذف والانتخاب.

هذا هو التفكيك الحداثي للوحي ومصدره أراد به أركون نزع هالة القداسة عن ظاهرة الوحي والخطاب النبوي ككل، من خلال تعرية آليات التقديس والتعالي، والتعامل معه كأي نص عادي من نصوص البشر، فأركون لا ينفي الوحي مطلقا كعقيدة وإنما ينفي الوحي الإلهي الذي لا يقبل نصه وعي الإنسان وفكره، وأن الوحي الشفاهي والمكتوب هو ما ينبغي نبذه وطرحه إذ

١٢٥- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص٧٨.

١٢٦- انظر العلمنة والدين محمد أركون ص٨٥.

١٢٧- انظر الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ص٨٤.



هو قد خضع للعمل البشري في حينه وقد تغير إثباته على أرض الواقع فيما بعد، ممايحتم حسب رأيه ان الوحي ظاهرة قد انقضت وأياما قد خلت وذكريات سلفت ..! فهاجس أركون هو " رق الممنوعات وانتهاك المحرمات " (١٢٨).

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن إذا كان مشروع أركون ينصب على التراث الإسلامي وخاصة الوحي فلماذا يكتب بغير لغة هذا التراث ؟ فمؤلفاته كتبها باللغة الفرنسية – وهي اللغة التي استعمرت بلاده – ثم ترجمت بعد ذلك إلى العربية من خلال تلميذه هاشم صالح (١٢٩) الذي اعتبر أركون " تعليقاته وشروحاته قد أسهمت في تقريب أفهام القارئ العربي من المفهومات الحداثية التي تبناها أركون " (١٣٠).

يقول أركون مبررًا عدم كتابته بغير اللغة العربية " لعدم اتساع الوقت للقيام بعملين مهمين مجهدين هما متابعة التيارات العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية من معينها الأصلي والإطلاع عليها من جهة، ومن جهة أخرى ايجاد المصطلحات اللازمة لنقل أجهزة المفهومات المتجددة المتحولة من كل لغة من اللغة الأصلية الإنجليزية والفرنسية والألمانية إلى العربية " (١٣١).

إن أركون حانق على العرب وعلى المسلمين وعلى اللغة العربية حيث يقول " إن اللغة العربية فرضت نفسها علي بدءً من سن الحادية عشر " (١٣٢).

١٢٨- أوهام الحداثة علي حرب ص٧٩.

١٢٩- إضافة إلى وجود ترجمات أخرى لكتب أركون.

١٣٠- القراءة الحداثية للقرآن الكريم محمد أركون أنموذجًا، بلمهوب هند ص٢٨٥.

١٣١- التشكيل البشري للإسلام محمدأركون ترجمة هاشم صالح ص١٢ الناشر المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

١٣٢- المرجع السابق.



ويقول " لغتنا هي القبائلية، حتى سن السابعة عشر، لم أكن أعرف العربية إطلاقًا " (١٣٣).

فلدى أركون نظرة سلبية تجاه العروبة وما يرتبط بها من لغة ودين، لأن هؤلاء العرب قد أتوا من الجزيرة العربية ليفرضوا لغتهم ودينهم، ويمحقوا أصول البربر **يقول أركون** : " ينبغي العلم أن هناك تاريخًا طويلًا من الصراع العنيف الهادف إلى إخضاع منطقة القبائل البربرية، وكذلك من أجل تعريبها وأسلمتها ومحقها من الوجود كليًا " (١٣٤).

هذه العبارة تبين رأي أركون في العرب والمسلمين، فهو يعتبر الفتح العربي الإسلامي عملية محق للثقافة والهوية البربرية، **لذا يرفض أركون** خطاب السلطة الرسمي الذي اتخذ من العربية لغة رسمية أي لغة السلطة والقوة، في حين وضع التاريخ الأمازيغي واللغة البربرية على الهامش.

ولعل أبرز موقف أثر في هويته الأمازيغية هو خطاب الرئيس أحمد بن بلة الذي وجهه للشعب الجزائري قائلًا (نحن عرب) ويعلق أركون على عبارة ابن بلة فيقول : " هذا ما قاله الرئيس أحمد ابن بلة في أول خطاب له بعد الاستقلال، قال بالحرف الواحد " نحن عرب " لم يقل " نحن ناطقون بالعربية " .. يمكن أن تتخيلوا بأي حالة من الغضب تلقينا هذه العبارة لـــ ابن بلة .. لم نكن وحدنا نشعر بالغضب، وإنما كل منطقة القبائل ومنطقة الميزاب وحتى بربر المغرب كانوا يشعرون به أيضًا " (١٣٥).

هكذا سعى أركون إلى نفي كل ما هو مقدس من دين وقرآن ووحي، إضافة إلى كل ما يدل على الهوية من لغة وتاريخ بحثًا عن هوية ضائعة وتشرذم

١٣٣- العقل الإسلامي رون هاليبر ص١٦٧.
١٣٤- التشكيل البشري محمد أركون ص٢٣.
١٣٥- التشكيل البشري محمد أركون ص١٧.



بين الداخل والخارج، لكن بحثه أفضى به إلى تحطيم كل شيء بدءًا بنفسه وهو ما يقر به فيقول : " في كل مرة شرحت ذلك على الملأ في محاضراتي العامة خرج بعضهم من القاعة وهم يصرخون " لا نريد بعد اليوم أن نسمع هذا الشخص الذي يحطم المقدسات ! "، ولكني أصحح لهم ليس محطم الأصنام والمعبودات وإنما محطم الحقيقة، حقيقتي أنا أيضًا " (١٣٦).

لقد أراد أركون التشكيك في كل الثوابت الإسلامية والعربية والنيل من مقدسات هذا الدين وعلى رأسها القرآن الكريم يقول الأستاذ عبد العزيز كحيل : " في أواخر سبعينيات القرن العشرين ألف الطبيب الفرنسي " موريس بوكاي " كتابه " القرآن والكتاب المقدس والعلم " الذي حاكم فيه الكتب السماوية إلى الحقائق العلمية التجريبية في كل الميادين، وخلص إلى أن التحريف طال التوراة والإنجيل، بينما تتوافق الحقائق القرآنية مع آخر ما قطع العلم بصحته وثباته، وحقق الكتاب شهرة عالمية، وترجم إلى لغات العالم، لكن محمد أركون لم يرقه ذلك، ولم يسلم بما توصل إليه بوكاي من نتائج باهرة، بل قال بالحرف " إن بوكاي ألف هذا الكتاب تزلفًا للمسلمين " (١٣٧).

إن من أسباب انخراط أركون في مشروعه الفكري من وجهة نظره هي " تقويض ما رسخ في يقينيات المسلم حول كتابه المقدس " القرآن " (١٣٨) فهو يريد هدم ما رسخ من قداسة في يقينيات المسلم حول القرآن من أجل نزع القداسة عن القرآن والتعامل معه ككتاب عادي من كتب البشر.

١٣٦- التشكيل البشري محمد أركون ص١٨٢.

١٣٧ - محمد أركون وعلمنة الإسلام عبد العزيز كحيل الناشر شبكة الألوكة قسم المقالات إشراف د.سعد بن عبدالله الحميد.

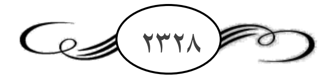
١٣٨ - انظر الإسلام، أوروبا، الغرب محمد أركون ص١٠٤.



كما أراد " إزالة الاتجاه المتزمت والمغلق في الإسلام لأنه يشكل عقبة "[١٣٩] وهذا الاتجاه يراه أركون وأمثاله فقط وإلا ليوضح لنا أتباعه هذا الاتجاه الإسلامي الذي يرونه مغلقًا والإسلام معروف بالمرونة واليسر بل والصلاحية لكل زمان ومكان، ويطلب من أتباعه السداد والمقاربة كما قال النبي (ﷺ) : " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا "[١٤٠].

١٣٩ - انظر القراءة الحداثية بليمهوب هند ص٢٩٣.

١٤٠ - صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الدين يسر الجزء الأول ص١١٦.



المبحث الثاني
الوحي عند الفلاسفة المحدثين

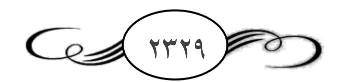
لقد كان التنوير الأوربي رفضًا للعصور المظلمة التي سادت أوروبا عندما حكمتها البابوية باللاهوت الكنسي، فأغرقتها في دياجيير الظلام والتخلف بسبب صلف الكنيسة وتعنتها،الأمر الذي سار معه الإنسلاخ من الكنيسة وتعاليمها مطلبًا رسميًا في الغرب الأوربي، فكان ذلك أول ميلاد لحركة التنوير الذي أعلن رفضه لسلطان الدين والوحي ورفع شعاره القائل "لا سلطان على العقل إلا العقل" وتشكيل الحياة على أسس طبيعية وعقلية وعن طريق البحث العلمي ، وعلى هذه الفلسفة التنويرية تأسس الإحياء الأوربي والنهضة الأوربية الحديثة.

وقد افتتن كثير من العرب المسلمين ومنهم محمد أركون بهذه الحضارة الغربية المادية واعتقدوا أن الدين هو ما يعوق أبناء الشرق عن اللحاق بالحضارة الغربية المادية ، دونما تفريق بين الوحي في المسيحية والوحي في الإسلام.

والسؤال الآن من أين استقى محمد أركون نظريته في الوحي؟ وماهو موقف الفلاسفة المحدثين من الوحي؟ وهل موقفهم من الوحي في المسيحية هو موقفهم من الوحي في الإسلام ؟ هذا مانحاول الإجابة عنه في السطور القادمة من هذا البحث.

موقف الفلاسفة المحدثين من الوحي

لقد كان الدين الكنسي مسيطرًا في العصور الوسطى على جميع جوانب الحياة العامة وعلى الجانب الفكري خاصة، حتى كان لا يتحرك إلا في إطاره، وتحت هيمنته ولكن الحال تغيرت في أوربا بعد عصر النهضة ، والذي برزت فيه المادية الغربية بعد أن رفضت هيمنة الدين جملة وتفصيلًا، وكان على أثر ذلك التقدم الغربي المادي في شتى المجالات، في هذه الأجواء كانت مواقف



فلاسفة الغرب من الوحي متمثلة في ثلاثة مواقف [١٤١] :

الموقف الأول : يرى أصحابه أن ما في الكتب المقدسة وحيٌ إلهيٌ وأنه مصدر الحقيقة الأكبر وأنه أوثق من غيره، ومن ممثلي هذا الموقف بلانش وفليستي لامن ١٨٥٤م، وقد حاول هؤلاء التشكيك في صحة النظريات التي تتناقض مع العقائد الدينية [١٤٢] وقد كان رينيه ديكارت من أشهر من أخذ بهذا الموقف، حيث أقام منهجه في المعرفة على الحدس والاستنباط العقليين، مستثنيًا حقائق الوحي بوصفها فوق متناول العقل [١٤٣].

الموقف الثاني : يرى أصحابه أن هناك وحيًا إلهيًا ولكنه مختلط بغيره، فيجب الإيمان بأصل الوحي المنزل من الله للإنسان ، والاحتكام إلى العقل لاستخلاص الموحى فقط حيث تحمل الكتب المقدسة زيادات من وضع البشر، والنظر إلى العقائد الموجودة على هذا الأساس فما فهمه وقبله في دائرة الإمكان فهو وحي وإلا فمن وضع البشر، ومن أشهر ممثلي هذا الموقف سبيوزا ١٦٧٧م وليبنتز ١٧١٦م وعمانوئيل كانت ١٨٠٤م ومن هنا جاءت فكرة الدين الطبيعي أو دين العقل، وهو يتكون من العقائد المسيحية التي تقبل التعليل العقلي [١٤٤] فجاء أتباع سوسين الإيطالي فأكدوا وجود الوحي ولكنهم أنكروا بعضًا من عقائد الكنيسة كالتثليث والتجسد [١٤٥].

الموقف الثالث : وهو موقف أغلب الفلاسفة – **والذي سار على منواله**

---

١٤١ - أنسنة الوحي دراسة نقدية حسان القارى ص ٤٠٠ : ٤٠٦ المجلد ٢٦ العدد الثاني ٢٠١٠م.

١٤٢ - انظر تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص٣١٢، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي محمد البهي ص٣٢٥ الطبعة السادسة دار الفكر بيروت.

١٤٣ - قصة النزاع بين الدين والفلسفة توفيق الطويل ص١٧٩ الطبعة الثانية ط دار مصر.

١٤٤ - تاريخ الفلسفة الحديثة ص١٠٦، ١١٦، ١٤، فلسفة الدين والتربية عند كانت د/ عبد الرحمن بدوي ص١٣، ١٧.

١٤٥ - فلسفة الدين والتربية عند كانت ص١٧، وانظر الفكر الإسلامي الحديث محمد البهي ص٣١٦.



محمد أركون – أنه ليس ثمة وحي إلهي وكل ما جاءت به الأديان وجميع المعتقدات إنتاج بشري، يرى بعضهم أن الإنسان استمده من عقله المجرد [١٤٦].

وقال بعضهم مصدره العاطفة والوجدان، **كهيجل** الذي يراه فناً باطنيًا يصور الحقيقة الإلهية " [١٤٧].

ومن هؤلاء من يسمون بأنصار نزعة التنوير التي حمى وطيسها ضد الكنيسة في القرن الثامن عشر لدرجة السخرية بالكتاب المقدس، ونعته بأنه : مجموعة من الكتب ألفها أناس امتلأو بالأحكام السائدة في أيامهم، وتناولتها أيدي التبديل وفقًا لحاجات العصر ودرجة الفهم [١٤٨] ووفقًا لهذا الموقف طرأ تطور على الدين الطبيعي لدى بودان ١٥٩٦م وهربرت يوهان ١٨٤١م [١٤٩] إذ يشتمل الدين على ما يقوم على الفطرة البشرية والعقل الذي يستطيع التمييز بين الخير والشر، وأما مالا يصل إليه الإنسان بفطرته فضلال ألحق بالدين الذي يقوم على العقل فقط [١٥٠].

وانتهى هذا الموقف بالاتجاه الوضعي في نظرية المعرفة، الذي جعل الواقع مصدر المعرفة الوحيد، فالمعرفة دائرة بين الإنسان والطبيعة ولا شيء وراءهما إلا الوهم والخيال.

ويرى **أوجست كونت** ١٧٩٨ – ١٨٥٨م أحد مشيدي الوضعية أن العلم الطبيعي المادي ينبغي أن يحل محل اللاهوت، وأن يضايقه كما ضايقه اللاهوت من قبل.

وعلى هذا الموقف أيضًا الماركسيون والوجوديون الذين ينكرون وجود

---

١٤٦ - العلم والدين في الفلسفة المعاصرة أميل باترو ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ١٩٧٣م.

١٤٧ - مشكلة الفلسفة زكريا إبراهيم ص١٩٣ طبعة مكتبة مصر.

١٤٨ - ايمانويل كانت د/ عبد الرحمن بدوي ص٧٨ الطبعة الأولى وكالة المطبوعات الكويت.

١٤٩ - الموسوعة العربية الميسرة محمد شفيق غربال ص ٤٢٦، ١٨٩٣ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

١٥٠ - عصر الإلحاد لمحمد تقى الأميني ص٦٤ الناشر دار غريب القاهرة.



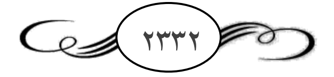
الله، ويعدونه وهما عاش مدة في عقول الناس ثم ذهب إلى غير رجعة، فالماركسيون يقولون صراحة : " إن فرضية وجود الله أصبحت عديمة الجدوى " [١٥١] أما بعض الوجوديين فقد تزعموا مهمة تخليص الفلسفة من فكرة " الله " إذا اعتبروا أن الله كان يحدثنا ثم صمت فلم يعد في وسعنا الآن سوى أن نلمس منه جثة هامدة " [١٥٢] وإذا سقط القول بوجود الله لم يعد للبحث في وحي ينزل على الخلق مجال.

أما ما حمل هؤلاء الفلاسفة على هذه المواقف النافرة من الوحي الماقته له هو ما جاءت به الكنيسة من تعاليم أطلقت عليها وحيًا وحجرها على العقول أن تتحرك خارج إطار تعاليمها، مما أدى إلى عدم الثقة بثبوت نسبته إلى مصدره وهو الله "تعالى"، وكذلك تناقض الأناجيل مع العلم الحديث، حيث قامت النهضة العلمية في أوربا وحل عصر هيمن المنهج التجريبي فيه على الميدان العلمي، فتصادمت حقائق العلم مع ما هو مقرر في الكتب المقدسة وشروحها، وهو ما حدا بالغرب أن يروا أن معطيات الوحي ومعطيات العلم شيئان متنافران [١٥٣].

هكذا كان فلاسفة أوربا ينظرون إلى الوحي ، كما أنهم قاسوا الأديان الأخرى والوحي على دين المسيحية وكتبها المقدسة، وكانت نظرة فلاسفة الغرب إلى الوحي في الإسلام أسوأ من نظرتهم إلى تعاليم الكنيسة من حيث كونها علمًا إلهيًا، لأنهم في رأيهم يقيسون الإسلام على المسيحية بقياس الأولى.

فإن من قرأ منهم عن الإسلام اعتمد على المستشرقين الذين تواطؤوا على القول ببشرية الوحي مطبقين عن قصد نظرة فلاسفة الغرب إلى الوحي المسيحي

١٥١ - النظريات المادية في المعرفة روجيه جارودي ص١١.
١٥٢ - مشكلة الفلسفة ص٢٠٠.
١٥٣ - العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ص٣٢.



على الإسلام، فأوردوا شبهاتهم عليه وأشاعوا ذلك حتى غرسوا هذه الأفكار المسمومة عن الإسلام ووحيه في أذهان فلاسفة الغرب وأبنائه عامة.

المبحث الثالث

التأثير الاستشراقي [١٥٤] في الفكر الأركوني في قضية " الوحي "

من المعلوم أن أركون تلقى تعليمه المبكر على أيدي المستشرقين وأخذ الكثير من المعارف عن العالم العربي والإسلامي مباشرة من أفواههم، كما ربطته صداقات قوية مع بعضهم الآخر، وجمعته الندوات والمؤتمرات واللقاءات العلمية بكثير منهم، وترديد ما يقولون وتطبيق هذه الأقوال في مشروعه ضد التراث الإسلامي.

ويعد أركون أحد المكثرين في التعامل مع كتابات المستشرقين إذ يندر أن يخلو عمل من أعماله من الاستشهاد بهم أو الإشارة إليهم، ويعترف أركون في مناسبات عديدة بالدور الكبير الذي كان للاستشراق والمستشرقين في تأسيس ميدان الدراسات الإسلامية، وإرساء تقاليد البحث العلمي في الوقت الذي تعذر على الباحثين العرب والمسلمين أن يقوموا به في القرن التاسع عشر وشطر القرن العشرين إذ يقول: " تقدم الدراسات القرآنية قد تم بفضل التبحر الأكاديمي الاستشراقي منذ القرن التاسع عشر " [١٥٥].

بل رأى أن " الدراسات الاستشراقية للتراث الإسلامي أكثر تاريخية وموضوعية ونقدية من دراسات الباحثين المسلمين والعرب بكثير " [١٥٦].

ولم يتوقف أركون عن الإشادة بعمل المستشرقين والخدمات الجليلة التي أسدوها للدراسات الإسلامية على مدار مئة عام – على الرغم أن منهم أسماء

---

١٥٤ - من المنصف أن نذكر أن المستشرقين ليسوا جميعًا في كفة واحدة فكما وجد من بينهم من قدم للتراث العربي الإسلامي خدمات جمة، استغل آخرون زيهم البحثي لأغراض دينية كالمساس بالموروثات والإساءة للإسلام وتشويه صورته عند الغرب لذى ينبغي لدارسي الاستشراق والمستشرقين الإطلاع على خلفية أبحاثهم حتى يميز بواسطتها بين غث ما أنتج هؤلاء وثمينه.

١٥٥ - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل محمد أركون ص٧٠ ترجمة هاشم صالح.

١٥٦ - الإسلام، أوربا، الغرب محمد أركون ص١٧.



عرفت بتحاملها على الإسلام – فيقول: (١٥٧) " أحيي بكل اعتراف بالجميل جهود ومكتسبات رواد الاستشراق من أمثال يوليوس فيلهاوزن، وهربرت غريم، وتيودور نولدكه، وفريدريك شفالي، وغولدزيهر، وتور أندري ... كما ينبغي أن نحيي جهود تلامذتهم الذين واصلوا على نفس الدرب من أمثال رودي باريت، وريجيس بلاشير، وليام مونتغمري ..." (١٥٨).

لذا سار أركون على درب هؤلاء بل أحياناً ينتقدهم لأنهم لم يصلوا إلى ما يفعله هو من هدم وتفكيك في دينه وقرآنه، ولكي يحد من الهجوم على المستشرقين سمى هذا الاستشراق بـــ " الإسلاميات الكلاسيكسة " (١٥٩).

وقد سعى أركون من خلال كتاباته إلى ما سعى إليه المستشرقون قديمًا وحديثًا وهو محاولة النيل من القرآن الكريم بشتى الطرق، إما من طريق التشكيك في القرآن من ناحية الوحي، أو من ناحية الجمع الخاص بالقرآن الكريم، وأنه كلام محمد (ﷺ) وليس وحيًا إلهيًا كما سيأتي بيانه.

وهناك العديد من الأهداف الاستشراقية المتطابقة مع الأهداف الأركونية منها على سبيل المثال لا الحصر :

- التشكيك في الوحي قرآنًا وسنة والقول ببشريته.
- التشكيك في صحة رسالة النبي (ﷺ) ومحاولة إسقاط السنة النبوية حتى يفقد

---

١٥٧ - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل محمد أركون ص٣٢.

١٥٨ - انظر في ترجمة هؤلاء المستشرقين موسوعة المستشرقين د/ عبد الرحمن بدوي، المستشرقون نجيب العقيقي.

١٥٩ - الإسلام، أوروبا، الغرب محمد أركون ص١٧٨ ويقصد أركون بالإسلاميات الكلاسيكية كل خطاب غربي حول الإسلام يتميز بصفة العقلانية، وينتقد أركون الإسلاميات الكلاسيكية لكونها تحصر اهتمامها بدراسة الإسلام من خلال كتابات الفقهاء المطلوبة من قبل المؤمنين معيبا عليها إهمالها عدة جوانب منها : إهمال المؤلفات والكتابات المتعلقة بالإسلام المنظور إليه بأنه " غير نموذجي " وغير تمثيلي ويقصد به التراث الشيعي والإباضي، والتركيز على الإسلام السني الأرثوذكسي. انظر تاريخية الفكر العربي الإسلامي محمد أركون ص٥١ ،انظر القراءة الحداثية للقرآن بلمهوب هند ص٥٩، ٦٠.



المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام وحياة النبي (ﷺ) وما أركون ببعيد عن ذلك حيث ادعاء تاريخية الإسلام ونادى بأنسنة الوحي.

- التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه للقضاء على مصدر قوة المسلمين وهذا أكبر أهداف أركون ، حيث القول بتاريخية القرآن عن طريق التفكيك وإخضاع القرآن للنقد التاريخي ، واعتباره من الأساطير والخيالات والمجاز إلى استحالة الوصول إلى القرآن الشفهي الذي نطق به النبي (ﷺ) لأول مرة لأن القرآن المكتوب عرضه للتبديل والتغير من وجهة نظر أركون، إلى غير ذلك من المطاعن الأركونية في كلام الله – جل وعلا – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه "

أيضا إرجاع الوحي في الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية، ويتمثل ذلك الهدف في ما يقول به أركون من **التداخليه النصانية.**

والتي تعني عند أركون أن " نصًا ما – كالنص القرآني مثلًا – قد يتأثر بالعديد من النصوص السابقة له كالنص التوراتي والنص الإنجيلي، بل وحتى ما قبل التوراة الإنجيل .. وهكذا تتداخل هذه النصوص – أو مقاطع منها – مع النص القرآني، ويستوعبها حتى تصبح جزء لا يتجزأ منه، وهذا لا يعني التقليد كما يتوهم بعضهم، وإنما يعني التفاعل والاستيعاب والدمج المبدع الخلاق " (١٦٠).

وقول أركون بالتداخلية النصانية متأثر فيه بالمستشرق" ريتشارد بل " الذي زعم أن النبي (ﷺ) قد استمد القرآن من مصادر يهودية ومن العهد القديم بشكل خاص، وكذلك من مصادر نصرانية " (١٦١).

١٦٠ - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص٤٠.

١٦١ - انظر الموسوعة الميسرة مانع حماد ص٦٩٤.



وقد أكد عدد من الباحثين أثر أولئك المستشرقين ومن ذلك ما ذكره في هذا السياق الدكتور **عبد الرازق هرماس** أن محمد أركون من أكثر الباحثين تأثرًا بالفكر الاستشراقي – في معرض سرده لأسماء تلاميذ المستشرقين في فرنسا – فيقول : " ومن نماذج تلاميذ المستشرقين الذين استبقوا في الغرب – فرنسا – ويحررون منشوراتهم بالفرنسية : الدكتور محمد أركون، ويهمنا في هذا المطلب ما يتصل من كتاباته بربانية مصدر القرآن، وإن كان هذا الكاتب قد أضحى – عن جدارة – أكثر جرأة من أساتذته على الله وعلى كتابه، وعلى سنة نبيه (ﷺ) وعلى شريعة الإسلام، وبخصوص كلام أركون عن القرآن الكريم، فالملاحظ أنه في جميع ما كتب عنه ظل وافيًا للتراث الاستشراقي، ولا نكاد نجد شيئًا من مطاعن المستشرقين – قديمًا وحديثًا – لم يتبنه ويدافع عنه، طريقته في ذلك واحدة دائمًا هي التلبيس على تلك المطاعن، بادعاء الاستفادة من " المناهج المعرفية المعاصرة " في فهم القرآن الكريم، لكن هذه الاستفادة تؤدي دائمًا إلى تقرير وتزكية مختلف أراجيف المستشرقين " [١٦٢].

والملاحظ لمنهج أركون ودعوته يجد أنه لم يأت بجديد، وإنما هو ترديد لمقولات دعاة التغريب من قبله، ولكن بثوب جديد محمل بطائفة كبيرة من المنهجيات، وفي وسط ركام من المفاهيم والمصطلحات الغامضة ليتفق مع من سبقه في حربهم على الثوابت الشرعية، وعلى كل ما هو غيبي بدعوى التحرر من سلطة النص.

ويقول الدكتور **عبد الرحمن بدوي** : " وهل لأركون من رسالة سوى تشويه التراث الإسلامي ؟! إنه تلميذ في مدرسة الاستشراق الكبرى التي تضع نصب عينيها كهدف ثابت تشويه الإسلام، والإساءة إلى نبيه، والطعن في قرآنه

---

١٦٢ - مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن د/ عبد الرازق هرماس ص١١٩، ١٢٠مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد٣٨ عام ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

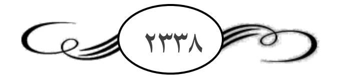


المجيد، وهو يحيط نفسه بمزاعم معرفية لا أساس لها ... وهو مشكوك في وطنيته لقد جنى على الفكر العربي جناية لا تغتفر" (١٦٣).

إن الدارس لظاهرة الوحي في الدراسات الاستشراقية يرى أن أغلب الدراسات الاستشراقية ذهبت إلى أن الوحي في الإسلام مصدره بشري لا إلهي، وأن القرآن نص تاريخي خضع لما تخضع له النصوص التاريخية.

ولاشك أن محمد أركون استقى نظريته في الوحي من هؤلاء المستشرقين الذين تربى على أيديهم وتعلم في مدارسهم حتى صار أستاذًا بالسوربون ، مرددًا لأقوال أساتذته من الفلاسفة الماديين والوضعيين، والماركسيين أمثال سيبنوزا ولبينتز، وكانط وهيجل وهربرت يوها وأوجست كونت ،وجيمس جينز وغيرهم من الوضعيين والماركسيين والوجودين.

١٦٣ - دفاع عن محمد (ﷺ) ضد المنتقصين من قدره د/ عبد الرحمن بدوي ترجمة كمال جاد الله دراسة وتقديم محمد عمارة ص١٣.



المبحث الرابع

شبهات الحداثين وغيرهم حول الوحي الإسلامي والرد عليها

إن أركون وأمثاله طرحوا قضية الوحي كموروث ثقافي يقبل التغيير والتبديل وأن على العقول أن تتحرر من ربقته لكنهم رغم ذلك لم ينظروا إلى النص نفسه ودلالته الإعجازية التي تؤكد أن الإعجاز فيه وجه خلوده وديموميته وفيما يلي بعض الشبهات حول الوحي الإلهي والرد عليها يتبين من خلالها شهادة بعض بني جلده هؤلاء على صدق الوحي وأنه حوى الزمان والمكان:

الشبهة الأولى : الزعم بأن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية وهو قول السابقين من أعداء الإسلام وبه قال المحدثون ومنهم محمد أركون

زعم أعداء الإسلام أن الدين الإسلامي دين بشري اخترعه محمد ولفقه من مصادر كثيرة على رأسها اليهودية والنصرانية وأكثرهم ادعاءً لذلك هو المستشرق المجري جولدتسيهر حيث يقول :

" إن محمدًا انتخب تعاليم الإسلام من الديانات السائدة في عصره اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية بعد تهذيب وصقل " ويقول : " فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخباً من معارف وأراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرهما ، والتي تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه " (١٦٤).

ويقول " **فنسنك** ": " إن مفهوم المسلمين للإله يلتقي في نقاط عديدة مع وصف " يوحنا الدمشقي " وشرحه للذات الإلهية "، وهذا يعني أن النصرانية هي

---

١٦٤ - العقيدة والشريعة في الإسلام جولدزيهر ص١٢الناشر دار الكتب الحديثة .



مصدر الوحي في الإسلام " لأن محمداً كان منتخباً لتعاليمه من عدة أديان سابقة ومنها النصرانية " (١٦٥).

ويزعم **فنسنك** أيضًا أن النبي " في مكة " كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثم كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل لينذر قومه بما حدث لمكذبي الرسل قبله وليثبت أتباعه القليلين من حوله (١٦٦).

ويذهب المستشرق **لوبلوا** : إلى القول بأن محمدا استخلص دروسه من مطالعته المباشرة للكتب القديمة سواء كانت المسيحية أو اليهودية أو الزرادشتية"(١٦٧).

ومن بين المستشرقين الذين ذكرهم أركون وعرفوا بتحاملهم على الإسلام المستشرق الإنجليزي **مونتجمري واط** الذي يرجع الوحي إلى أصول مسيحية في كتابه محمد في مكة (١٦٨).

كما يرجع **نولدكه** الذي يحتفي أركون بفكره النص القرآني إلى أصول مسيحية حيث يقول : " الإسلام في جوهره دين يقتفي أثر المسيحية أو بعبارة أخرى إن الإسلام هو الصيغة التي دخلت بها المسيحية إلى بلاد العرب " (١٦٩).

---

١٦٥ - دراسات استشراقية وحضارية مركز الدراسات الإستشراقية والحضارية كلية الدعوةبالمدينة المنورة ص١٥٠ العدد الأول ١٤١٣هـ١٩٩٣م.

١٦٦ - العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها فنسنك ص٣نقلا عن رؤية إسلامية للأستشراق أحمد عبد الحميد غراب ص٩١طبعةعام١٤١١هـ ،وانظر الأثر الأستشراقي في فكر محمد أركون محمد بن سعيد السرحاني ص ٣٥.

١٦٧ - مدخل إلى القرآن د. محمد عبد الله دراز ص١٤١ طبع دار القلم الكويت ط١٩٨١/٣.

١٦٨ - انظر محمد في مكة مونتجمري واط ترجمة شعبان بركات ص٩٣ طبعة المكتبة العصرية بيروت.

١٦٩ - تاريخ القرآن تيودور نولدكه ترجمة جورج تامر ص١٦٤ طبعة عام ٢٠٠٤م بيروت.



ويقول **مكسيم رودنسون** في كتابه " محمد " : " إن قصص القرآن ما هي إلا ترديد لما تعلمه محمد وسرقه من الأديان السابقة ومن الكتب اليهودية " (١٧٠).

الردعلى الشبهة :

وسحقاً لافتراءات هؤلاء في القول بأن مصدر الوحي استمد من اليهودية والنصرانية نقول إن هذه الافتراءات مقطوع ببطلانها لما يلي :

أ- إن الثابت من سيرته (ﷺ) أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قول الله تعالى :﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨ ﴾(١٧١). فكيف تأتى له – عليه الصلاة والسلام – أن يطالع ما في الكتاب المقدس بعهديه، ويحصل ما فيه، وهو الأمي الذي لا عهد له بالقراءة ولا الكتابة ؟ .

ومع افتراض أن النبي (ﷺ) كان يجيد القراءة والكتابة، فلن يتسنى له أن يطالع ما في الكتاب المقدس، وذلك لأنه لم يكن يوجد في ذلك الوقت ترجمات للتوراة أو الإنجيل باللغة العربية (١٧٢).

ب- لو كان صحيحاً أن محمداً قد لفق القرآن من اليهودية والنصرانية وأنه فرع منبثق من هذين الأصلين وصورة منهما واقتباس عنهما، فعلى هذا نتساءل : أليس ثمة علاقة بين الأصل والفرع أو بين المنقول والمنقول عنه ؟.

إن الذي يشهد به الواقع أن الفرع يكون عادة مشابهاً للأصل، وأن بين المنقول والمنقول عنه قواسم مشتركة كثيرة، هذا حق لا ينكره إلا غافل أو

---

١٧٠ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق د/ إسماعيل علي محمد ص٢٠٥ الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م الناشر دار الكلمة المنصورة.

١٧١ - سورة العنكبوت آية ٤٨ .

١٧٢ - انظر مدخل إلى القرآن د. محمد عبد الله دراز ص١٤٠،١٤١، انظر نظرات في حركة الاستشراق د. عبد الحميد مدكور ص٨٩ ط عام١٤١٠هـ ١٩٩٠م دار الثقافة العربية .



متجاهل.

وإذا كان القرآن ملفق من اليهودية والنصرانية ومستمد منهما فهل جاءت عقائده وتشريعاته مماثلة لعقائد وتشريعات كل منهما ؟ أم مخالفة لها ومناقضة ؟

الواقع إن الإسلام خالف كلاً من اليهودية والنصرانية في الجوهر، في الصميم وفي الأصول، وهذا باد لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فقد جاء الإسلام بعقيدة التوحيد الخالص التي تصادم تماماً التجسيم اليهودي، وتتصادم تماماً مع عقيدة التثليث النصرانية.

يقول الأستاذ **أنور الجندي** :

" إن مفهوم التوحيد في القرآن يختلف عن مفهوم التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار، أو الأناجيل الموجودة في أيدي النصارى الآن، وذلك لأن دعوة القرآن للتوحيد، إنما هي دعوة إلى التوحيد المطلق، أما توحيد اليهودية، فهو يعتبر توحيداً بالنسبة لجيرانهم، الذين كانت لهم آلهة متعددة للزرع والمطر والخصوبة والنجوم كل له إله خاص، أما عند اليهود فقد كان إلههم يهوه، إلههم وحدهم، وظلوا على ذلك فترة من الزمن حتى جاء النبي أليجا، أول من جهر بأنه إله العالم كله " (١٧٣).

أما النصارى فهم قائلون بالتثليث، الذي يقولون في آخره إله واحد آمين، كيف الثلاثة تكون واحداً، أي توحيد هذا، إن التوحيد الحق والوحدانية الحقة هي وحدانية الإسلام، التي نزهت الله –تعالى –عن الند والشريك، وعن كل ما لا يليق بذاته المقدسة، ووصفته بكل صفات الإجلال والكمال، هذه هي الوحدانية.

وكذلك الحال بالنسبة للعبادات والأخلاق والتشريعات في المعاملات، فقد

١٧٣ - انظر الاستشراق أنور الجندي ص١٧ طبعة دار الاعتصام.



جاءت مخالفة لها على الإجمال والتفصيل ... فكيف يكون الإسلام مأخوذاً من اليهودية والنصرانية أنها دعوة متهافتة ساقطة ! " [١٧٤].

ج- يختلف القرآن الكريم عن التوراة والإنجيل في الأسلوب، فالقرآن معجز بأسلوبه وبلاغته، وفى أخباره التي لا يعلمها أحد من أهل الكتاب ولا غيرهم؛ من ذلك أخباره عن الغيب العلمي الذي لم يكتشف إلا في العصر الحديث مثل إخباره عن انخفاض الضغط الجوى في أعالي الجو قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾" [١٧٥].

وهذا واحد من المستشرقين المنصفين وهو الدكتور **موريس بوكاي** [١٧٦] الطبيب الفرنسي يقول في دراسة علمية له بعنوان " القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " :

" لقد أثارت دهشتي الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن، والتي كانت مطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة، ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق، وقد دفعني ذلك إلى أن أتساءل لو كان مؤلف القرآن إنساناً، فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة ؟ ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية ؟ حقاً إن في إشارات

١٧٤ - الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر دراسات تحليلية تقويمية د. محمد عبد الله الشرقاوي ص٩٩ ، والاستشراق بين الحقيقة والتضليل ص٢٠١.

١٧٥ - سورة الأنعام آية ١٢٥.

١٧٦ - موريس بوكاي : طبيب فرنسي عنى بالدراسات العلمية ومقابلاتها بالكتب المقدسة ، أعلن إسلامه في أحد المؤتمرات الطبية في السعودية في الثمانينات في القرن الماضي من مؤلفاته القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " انظر مجلة نور الإسلام العدد الثاني ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.



القرآن قضايا ذات صيغة علمية تثير الدهشة " [١٧٧].

فهذه الشهادة لها وزنها من عالم محقق استخدم منهجًا علميًا موضوعيًا في دراسته للقرآن فوصل إلى الحقيقة فما استطاع إخفاءها.

وكان مما قاله **موريس بوكاي** في مراحل خلق الإنسان في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[١٧٨].

توضح هذه الآيات تسلسل خلق الجنين، وقد ذكر ذلك القرآن قبل اكتشاف الميكروسكوبات والأدوات الحديثة، التي تمكننا من رؤية هذه المراحل، وقد ذكرت هذه الآيات أن مراحل خلق الإنسان في الأصل هو الطين، ثم النطفة التي لا ترى بالعين، ثم العلقة التي ترى بالعين المجردة والعظام التي تسبق اللحم في التكوين، وقد تحدث الرسول عن ذلك أيضاً بقوله (ﷺ) :

" إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات يكتب رزقه وعمله وأجله شقي أم سعيد " [١٧٩].

ومما ورد من تعليقه على ذلك قوله :

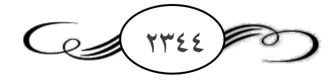
" لقد وصف القرآن الكريم مراحل التناسل الإنساني بدقة وتحديد دون أي خطأ، وفي عبارات بسيطة يسهل على الإنسان إدراكها، بينما سادت خرافات كثيرة عن التناسل البشري، وفي القرون الوسطى وحتى وقت قريب قبل اكتشاف

---

١٧٧ - القرآن والتوراة والإنجيل والعلم موريس بوكاي ص١٤٤:١٤٦ بتصرف الطبعة الرابعة عام ١٩٧٧م الناشر دار المعارف.

١٧٨ - سورة المؤمنون الآيات ١٢، ١٣، ١٤.

١٧٩ - أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب بدء الخلق – باب ذكر الملائكة – الجزء الثاني ص٢١١.



المجهر وعلم التشريح ووظائف الأعضاء والأجنة " [١٨٠].

فالقرآن الكريم من بين الكتب الإلهية التي نزلت، إنما تلقاه الرسول (ﷺ) كما هو بكلماته وتراكيبه، خلافاً للتوراة والإنجيل وغيرها من الكتب فإن الأنبياء يتلقونها في حالة الوحي معان، ويعبرون عنها بعد رجوعهم إلى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم، ولذلك لم يكن فيها إعجاز، وذلك بشهادتهم هم الغربيين كما قال بعضهم في تفسيرهم للكتاب المقدس ما ترجمته " إننا لا ينبغي أن نقّيم الكتاب المقدس ككتاب كامل تماماً، باعتبار الله ذاته هو واضعه مستخدماً البشر أيديهم وعقولهم، كما يستخدم الإنسان الآلة الكاتبة [١٨١] " وكثير غيره.

أرى أنه بعد شهادة هؤلاء لا كلام، ولكن لنا معهم بعض الأسئلة، هؤلاء الذين يجادلون في مصدر الوحي، ويرون أنه مأخوذ من اليهودية والنصرانية.

ما المانع أن يكون القرآن الكريم وحياً إلهياً أصيلاً مأخوذاً من النبع نفسه، الذي نبع منه الإنجيل والتوراة والكتب الصحيحة ؟.

وما المانع أن يكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الوحي الإلهي، الذي أقام الاتصال بين السماء والأرض على مدى تاريخ البشرية ؟ هل هو التعصب الأعمى، أم هي الكراهية لهذا الدين الذي جاء مصححاً وكاشفاً لعدوانهم ولأخلاقهم، ومتمماً ومصححاً لما طرأ على النصرانية واليهودية من تحريف وأكاذيب، وكاشفاً لوجه الحق فيهما ؟.

ثم ما هي الثقافة التي يزعمون أن القرآن من إنتاجها، وتشكل من خلالها ؟ ما ردهم على هذه الأسئلة إن كان هناك رد، فالقرآن أكبر وأعظم من هذه الترهات والافتراءات قال تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ

١٨٠ - القرآن والتوراة والإنجيل والعلم في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص٢٥٥ الناشر دار المعارف ١٩٧٧م.

١٨١ - الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية . إبراهيم خليل أحمد ص٧٠.



ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ [١٨٢].

الشبهة الثانية : وفحواها أن الوحي الذي يتنزل على النبي (ﷺ) لا يمكن أن يكون واقعة مستقلة عن كيان الرسول ونفسيته وشعوره فمحمدًا كان عصبيًا حاد المزاج، وكان مريضًا بما يسمونه بالصرع أو الهستريا أو الهوس، والوحي الذي كان يزعمه ما هو إلا أعراض لتلك الحال التي أصيب بها [١٨٣].

يقول المفكر الفرنسي " **جوستاف لوبون**": " أن التصرفات التي كانت تعتري الرسول إبان نزول الوحي الإلهي عليه ما هي إلا أصابته بالصرع الذي ينتابه في هذه اللحظات ويرى أنه يجب اعتبار محمدٍ من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات ويقول في هذا الصدد " ولا أهمية لذلك فلم يكن ذو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور، وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثار الجموع وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرًا آخر " [١٨٤].

يقول " **مونتوجمري** " : " أن محمدًا كان شديد الإخلاص لدعوته شديد الثقة في نفسه، فكانت إذا حدثت حادثة في حياته أو اعتقد أن شيئا ما صالحاً انفعلت نفسه بما حدث أو اعتقد، فيصوغه في كلام قرآني ثم يعتقد هو نفسه أن هذا الكلام من الله أوحي إليه، وأن ملكا من الملائكة يلقنه ذلك مشافهة " [١٨٥].

---

١٨٢ - سورة النساء آية ٨٢.

١٨٣ - انظر مناهل العرفان في علوم القرآن الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ص٧٤ الناشر دار إحياء الكتب العربية الطبعة الثالثة ١٣٧٢هـ عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الفكر الإسلامي الحديث محمد البهي ص١٧٧، ١٧٨ القرآن والمستشرقون د/ محمد عزه دروزه ص٣٤٠ وما بعدها.

١٨٤ - حضارة العرب جوستاف لوبون ترجمة زعيتر ص١٤١ وما بعدها طبعة عام ١٣٩٩هـ.

١٨٥ - الإسلام والمستشرقون د. عبد الجليل شلبي ص٣٤ .



الرد على هذه الشبهة :

إن مثل هذه الشبهة لهي محض افتراء على الرسول (ﷺ) ذلك إن مرض الصرع أو الهستريا الذي يصفونه به كذبًا لهو داء عصبي عضال ، وأن الحالة التي تعتري الرسول (ﷺ) في أثناء تلقيه الوحي تختلف عن المصابين به فعلا، وآية ذلك أن الذي يصاب حقيقة بالصرع لا يذكر إطلاقًا ما مر به إبانها، بل أنه ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسيانًا تامًا، ولا يذكر شيئا ما صنع، أو حل به خلال ذلك، إن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل، وهذه الأعراض التي تصيب المرضى من الصرع لا تنطبق وما يعتري الرسول من حالات نفسية في أثناء نزول الوحي عليه، لأنه كان يذكر بدقة بالغة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك مع أصحابه، كما أن نزول الوحي لم يكن مقترنًا دومًا بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبه، بل إنه كثيرا ما ينزل الوحي والنبي في تمام يقظته العادية.

وهل المريض المتهوس الذي لا يصلح لقيادة نفسه، يتسنى له أن يقوم بهذه القيادة العالمية الفائقة ثم ينجح فيها هذا النجاح المعجز المدهش ؟! [١٨٦].

لذا يجب استبعاد صفات الهوس والصرع والمرض النفسي التي اتهم بها أعداء الإسلام النبي في أثناء نزول الوحي عليه، ذلك أن التاريخ قد أنبأنا أن النبي لم يكن يتصف بهذه الصفات قبل البعثة بل إنه يصفه لنا بالعاقل والصادق الأمين، وإنه لم يكن قبل البعثة (ﷺ) من أولئك الذين تعتريهم الوساوس والسلوك الشاذ، والتصرف الغريب، بل كان بعيدًا عن سلوك الكهان وسجعهم، وتصرفاتهم الغريبة، ولم يكن شاعرًا يعتريه شيطان الشعر فيؤثر في قوله وتصرفاته، وإن معاصريه الذين أجهدوا أنفسهم في بيان مساؤيه، لم يصفوه بالمرض والوسوسة والصرع بالرغم من وصفهم له بالسحر والكهانة واستقائه معلوماته عن آخرين.

١٨٦ - مناهل العرفان في علوم القرآن ص٧٥، العقيدة والشريعة في الإسلام ص٦، ٢٦.



الشبهة الثالثة : الزعم بأن الرسول (ﷺ) استقى القرآن من " بحيرى الراهب:

ذكر المؤرخون أن الرسول (ﷺ) لما بلغ اثنتى عشرة سنة من عمره، خرج عمه أبو طالب في قافلة تجارية إلى الشام، ولما تهيأ لذلك تعلق به الرسول، فوافق له عمه، واصطحبه معه وهو غلام صغير، ولما وصلت القافلة " بصري " من أرض الشام، بها راهب يقال له " بحيرى " في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، فلما نزلت قافلة قريش عليه صنع لهم طعاماً كثيراً، ودعا القوم إلى ضيافته، فحضروا جميعاً سوى الرسول الذي خلفه عمه لحداثة سنه في رجال القوم تحت الشجرة، فأصر " بحيرى " على حضوره، لأنه شاهد علامات النبوة عليه، وبعد تناول الطعام، سأل بحيرى الرسول عدة أسئلة عن حالهِ في نومه، وهيئته وأموره، ورسول الله يخبره، تيقن بحيرى أن هذا الغلام سيكون له شأن كبير في مستقبل الأيام، فحذر عمه من كيد اليهود له، وأمره بالرجوع به إلى مكة حين يفرغ من تجارته بالشام " [١٨٧] انتهت روايات الأخبار إلى هذه النقطة لكن أعداء الإسلام في الغرب أولوا هذه الأخبار وذهبوا بها مذاهب شتى منها :

أن الرسول كان يتردد على هذا الراهب إبان سفره للتجارة عندما أصبح شابا، وأنه استقى منه العديد من الحكم والمعارف الدينية، وأنه كان أحد مصادره لتأليف القرآن الكريم.

١٨٧ - سيرة ابن هشام ص١٦٥:١٦٧.



الرد على هذه الفرية :

الزعم بأن الرسول (ﷺ) استقى القرآن من بحيرى هذا الزعم باطل من عدة وجوه :

١- لم ير الرسول (ﷺ) بحيرى إلا مرة واحدة وللحظات بسيطة، وهو طفل صغير " في الثانية عشر من عمره " ولا يعقل أن يستقر معه شيء من المعارف والمعلومات في هذه الفترة الوجيزة وفي هذه السن اليافعة .

٢- ثبت تاريخيًا أن الرسول (ﷺ) لم يسافر للتجارة إلا مرة واحدة بعد أن أصبح شاباً، وذلك عندما استأجرته السيدة خديجة (رضي الله عنها) لتجارتها واتفقت الروايات على عدم مروره ببحيرى هذه المرة، ولم يشر الإخباريون ومؤرخو السيرة إطلاقا إلى عودة الرسول (ﷺ) للمرة الثانية [١٨٨].

٣- إن الدين الذي جاء به محمد (ﷺ) لم يكن يحتوى على بضعة مبادئ، أو قليل من التشريعات، وإنما اشتمل على عقائد، وعبادات ومعاملات وأخلاق اشتمل على ما ينظم أمور الناس في معاشهم ومعادهم، فكيف يتسنى للنبي – عليه السلام – أن يتعلم ويحصل كل هذا وهو ثاوٍ في مكة لم يبرحها إلا في رحلتين تجاريتين إلى الشام، إحداهما وهو صبى في الثانية عشرة من عمره، والأخرى وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ؟.

وكيف يتسنى له ذلك وهو أمي لا يتمكن من تسجيل تلك المعلومات وتدوينها للاستعانة بها في تأليف كتابه [١٨٩].

٤- لننظر إلى هذا القرآن في صياغته وعزوبته ونضع بجانبه لسان بحيرى

١٨٨ - مواجهة المستشرقين بين رد الفعل السلبي وبين الفعل الإيجابي ص١٩،٢٠.

١٨٩ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل ص٢٠٠،٢٠١ ، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية د. ساسي سالم الحاج ج٢ ص٣٣٤.



هذا الأعمى الألكن فإن تكلم العربية فبلكنة سريانية، لأنه عاش سرياني اللسان فكيف يتسنى له أن يضع هذا اللون المعجز من الأسلوب، والذي عجزت الألسنة العربية أن تأتي بمثله أو بسورة منه، كيف تأتي لبحيرى الراهب الإحاطة بإسرار اللغة العربية حتى جاء القرآن الكريم معجزاً لفظاً ومعنى لمن هي لغتهم الأصلية (١٩٠).

٥- مما لاشك فيه أن محمداً (ﷺ) لو تتلمذ على يد بحيرى أو غيره من الأعاجم أو من العرب لكان لهذا الغير القدرة على الإتيان بمثل القرآن الذي جاء به محمد (ﷺ)، أو لاتخذها معارضوه من العرب وغيرهم حجة ودليلاً على عدم صحة ما جاء به، فقد قالوا عنه ساحر وشاعر وكاهن، فلو علموا أنه تعلم هذا القرآن من غيره لكانت هذه الفرية هي أول ما تلوكه ألسنتهم، ولكن هذا لم يحدث.

يقول الأمام **الباقلاني** في إعجاز القرآن :

" إن الوجه في إعجاز القرآن أن نظمه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ومباين أساليب خطابهم، ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى ولهذا لم يمكن معارضته " (١٩١).

فالزعم بأن محمد إذن تعلم القرآن من مصادر بشرية " بحيرى وغيره " زعم وافتراء قديم قال به مشركوا مكة من قبل﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٩٢).

قد تقول مشركوا مكة هذه المقولة الكاذبة، ومن تفاهة عقولهم أن ينسبوا

١٩٠ - الوحي في الأديان الثلاثة د. ليلى زكي قطب ص٤١٨.

١٩١ - إعجاز القرآن للإمام الباقلاني ج٢ ص١٩٣، وانظر الإتقان للإمام السيوطي جزء٢ ص١١٩ ط الثالثة ١٩٥١م الباب الحلبي.

١٩٢ - سورة النحل آية ١٠٣.



هذا الوحي العربي المبين إلى أصحاب لسان أعجمي، فكيف يتأتى لصاحب لسان أعجمي أن يعلم محمداً (ﷺ) هذا القرآن بلسان عربي مبين ؟ بل لقد أعجز العرب أنفسهم عن الإتيان بمثله ؟.

يقول **ابن كثير** : " يقول تعالى مخبراً عن المشركين ما كانوا يتقولونه من الكذب والافتراء والبهتان أن محمداً إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش وكان بياعاً يبيع عند الصفا، وربما كان رسول الله (ﷺ) يجلس إليه ويكلمه بعض الشئ، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف الشئ اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لابد منه، فلهذا قال الله تعالى رداً عليهم في افترائهم ذلك ﴿ ...لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾[١٩٣] أي القرآن الكريم، فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له مسكة من عقل "[١٩٤].

الشبهة الرابعة : وفحواها أن مصدر الوحي مأخوذ من الشركيات والوثنيات البيئية والعربية وأن الإسلام بعقيدته عبارة عن إبداع إنساني ونتائج بيئية من حيث الزمان والمكان

الرد على هذه الفرية :

مما لاشك فيه أن تأثير البيئة على الفرد العادي يعتمد على مدى تفاعله معها، وقبوله لمبادئها وعاداتها وتقاليدها، فإذا كان رافضاً للبيئة فإنه لن يتقبل كل مؤثراتها بل قد يرفضها وقد يثور عليها؛ هذا إذا كان الفرد عادياً فما لنا برسول

١٩٣ - سورة النحل آية ١٠٣.

١٩٤ - تفسير القرآن العظيم ابن كثير جزء٢ ص٥٦٧.



الله (ﷺ).

لقد عاش الرسول (ﷺ) في بيئة وثنية، ولكنه لم يكن منها، بل كان دائماً رافضاً لها ولعاداتها وتقاليدها، ولم يثبت في كتاب واحد من كتب التاريخ أن النبي – عليه السلام – شوهد يوماً ما ساجداً لصنم، أو راكعاً أمام حجر، أو معتقداً في شمس أو قمر أو شجر، أو رافعاً يداه لغير الخالق جلا وعلا ! كل ذلك لم يكن، بل أهل مكة أنفسهم ما لم يرو أثر لذلك قط.

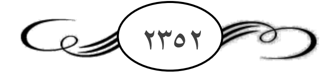
فكيف رأى هؤلاء ما لم يحكه التاريخ وما لم يشاهد أهل مكة قومه وأهله، وما لم يقره واقع العقيدة الإسلامية الموحى بها من قبل السماء ؟ فالثابت حقاً وصدقاً أنه خالف الشركيات بكل أنواعها وحطم الأصنام وردد وقت ذاك قول الله تعالى :

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [١٩٥]، [١٩٦].

بالإضافة إلى أن العقيدة الإسلامية جاءت بواقع يخالف ما عليه واقع أهل بيئته، وحاربت ما عليه هؤلاء وأثبتت أن الله واحد لا شريك له، وهو المعبود بدون وسائط ولا شفعاء قال تعالى﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[١٩٧] ويقول﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[١٩٨].

ثم سخرت من الدهريين والمنكرين للخالق، والمنكرين للبعث والإعادة، وأخبرت أن الله هو منشئ الخلق ولا شريك معه، وهو الذي يعيده ولا مشقة عليه

١٩٥ - سورة الإسراء آية٨١ .
١٩٦ - الاستشراق والتبشير أطماع وأحقاد د. عبد السلام عبده ص٧٦.
١٩٧ - سورة الأعراف آية٥٩.
١٩٨ - سورة النجم آية٢٦.



﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾[١٩٩] إلى غير ذلك من العقائد.

إذن لا يوجد مجرد وجه شبه بين العقيدة في الإسلام وبين العقائد البيئية وقت مجئ الإسلام.

إذن القول بأن القرآن الكريم من تأليف محمد (ﷺ) لهو قول واهي لاحظ له من العلم والمنطق ولا سند له من التاريخ والواقع؛ وإنما هو تخمينات وافتراءات وضعها أصحابها من غير برهان ولا حجة وادعوا أنها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل بينما هو مقولة قديمة حمل لواءها الوثنيون القدامى من أهل مكة وغيرهم من المشركين وسجل عليهم القرآن ذلك وبين زيفها وكذب أصحابها قال تعالى :﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ ﴾ [٢٠٠].

فرد الرحمن مكذباً﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦ ﴾ [٢٠١].

إذن فهو ليس من تأليف محمد ولا هو من أقوال السابقين من يهود أو نصارى، بل هو تنزيل ممن يعلم كل ما طرأ في السموات أو في الأرض إذا لا تخفى عليه خافية.

- إذ لو كان القرآن بالفعل من تأليف محمد (ﷺ) فلماذا نرى محمدًا (ﷺ) يتبرأ من انتساب هذا التأليف إليه، ولماذا يقر على نفسه أمام الدنيا كلها بأنه لا

---

١٩٩ - سورة الروم آية٢٧.

٢٠٠ - سورة الفرقان آية٤،٥.

٢٠١ - سورة الفرقان آية٦.



دخل له ولا فضل في شئ من هذا الكتاب الكريم ؟ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ ﴾ " [٢٠٢].

ألا يدل هذا الإقرار على صدق هذا النبي الأكرم وأمانته (ﷺ) ؟ إن الذي نعرفه أن بعضاً من الأدباء المؤلفين في هذه الأيام ومن قبل، قد يسطون على مؤلفات غيرهم وآثارهم فيسرقونها وينسبونها لأنفسهم زوراً وبهتاناً، ولم نسمع في دنيا البحث على مر العصور أن هناك أحدًا من الناس قد نسبا لغيره أنفس آثار عقله، وأغلى ما تجود به قريحته لكن محمداً نسب ذلك إلى ربه "جل وعلا" [٢٠٣].

لو كان القرآن – كما يقولون – ليس وحياً وأنه من عند محمد وأنه منتج ثقافي بشري – كل حسب تعبيره – فكيف يخالف رأيه الشخصي وطبعه الخاص ، ويتجلى ذلك في العتاب الموجه إليه (ﷺ) فهل يعاتب الإنسان نفسه من ذلك قول الله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨ ﴾ [٢٠٤].

لقد عوتب النبي (ﷺ) في هاتين الآيتين عتاباً شديداً، لأنه قبل الفداء من أسرى بدر، وهو تصرف أقرب إلى طبعه الرحيم، ولعله فعل هذا أملاً في هداية قومه وتأليف خصمه، ولكن الله – تبارك وتعالى – نبهه إلى ما هو حق في ميزان الحكمة الإلهية [٢٠٥].

٢٠٢ - سورة الأعراف آية٢٠٣.

٢٠٣ - من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية ص١٤٩،١٥٠.

٢٠٤ - سورة الأنفال آية ٦٧،٦٨.

٢٠٥ - الفكر الاستشراقى تاريخه وتقويمه د. محمد الدسوقي ص٩٣،٩٤.



كذلك عوتب الرسول (ﷺ) في قوله تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ ﴾ (٢٠٦).

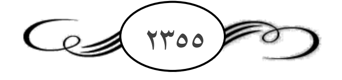
فقد جاء العتاب من الله – تعالى – إلى رسوله الكريم ذو الخلق العظيم، بهذا الأسلوب العنيف، وللمرة الوحيدة يقال له " كلا " وهي كلمة ردع وزجر في الخطاب، وذلك أنه الأمر العظيم الذي يقوم عليه هذا الدين " (٢٠٧).

" لقد قالوا بأن عيسى لم يخطئ قط بينما ارتكب محمد في زعمهم عدداً من الأخطاء والتي عاتبه فيها ربه في القرآن، ولكن هذا القول منهم يسجل تناقضهم مع أنفسهم، إذ كيف زعموا أن القرآن من عند محمد، وكيف يعاتب نفسه على هذه الأخطاء التي ارتكبها في زعمهم " (٢٠٨).

– إن هؤلاء لو تدبروا آيات القرآن الكريم لرأوا أن القرآن بكل سورة لا يقر بأن محمدًا هو مؤلفه بل ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢٠٩).

ذلكم هو جبريل – عليه السلام – تلقاه من لدن حكيم عليم ثم نزله بلسان عربي مبين على قلب محمد (ﷺ) وبلغه دون أن يكون له فيه من عمل بعد ذلك إلا الوعي والحفظ، ثم الحكاية والتبليغ، ثم البيان والتفسير ثم التطبيق والتنفيذ، أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل، وليس له من أمرها شيء ! إن هو إلا وحي يوحى، وقد أقر محمد (ﷺ) بذلك وحكى القرآن

٢٠٦ - سورة عبس الآيات١:١١.
٢٠٧ - في ظلال القرآن أ/ سيد قطب جزء٢ ص٣٨٢٤.
٢٠٨ - قوى الشر المتحالفة د. محمد محمد الدهان ص٤٩.
٢٠٩ - سورة التكوير الآيات١٩:٢١.



هذا الإقرار على لسان محمد ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ ﴾ (٢١٠).

وهذا يدل على إيحاء المعاني ، أما إيحاء الألفاظ فقد جاء في القرآن الكريم ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ (٢١١).

وقوله ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾ (٢١٢).

وقوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ ﴾ (٢١٣).

فالقرآن إذا صريح في أنه لا صفة فيه لمحمد ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه " (٢١٤).

– ومن أصدق الأدلة على أن القرآن خارج عن الذات المحمدية، ما يقوله علماء النفس من أن العقل الباطن يفيض بما فيه في غفلة من العقل الظاهر، ولذلك لا يظهر ما فيه إلا عن طريق الرؤى والأحلام والحمى، والقرآن الكريم نزل على النبي (ﷺ) وهو في اليقظة وفي اكتمال عقله وبدنه ولم ينزل منه شئ في الرؤى والأحلام، وهكذا نرى أن ما استندوا إليه من فكرة العقل الباطن لا تساعدهم بل ترد عليهم، ففكرة الوحي النفسي إنما قصدوا بها إبطال الوحي المحمدي واثبات أنه من تأليف البشر وأنه نتيجة للمعلومات المكتسبة والمختزنة في عقل الرسول، وهذا الافتراض باطل لأنهم لو درسوا ظاهرة الوحي المحمدي بإمعان وتبصر وأحاطوا به إحاطة ما، لعرفوا أن هذا الوحي

---

٢١٠ - سورة الأعراف٢٠٣.

٢١١ - سورة يوسف آية٢.

٢١٢ - سورة الأعلى آية٦.

٢١٣ - سورة القيامة الآيات١٦:١٩.

٢١٤ - انظر النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن د. محمد عبد الله دراز ص١٥دار طيبة للنشر الطبعة الثانية ١٤٢١هـ٢٠٠٠م



لا يمكن أن يكون من داخل نفس محمد (ﷺ) أو نتيجة إحساسه وانفعالاته [٢١٥].

وبعد هذه الإطلالة على موقف الفلاسفة المحدثين و طائفة من المستشرقين من الوحي في الإسلام تبين لنا مدى التوافق بين موقف هؤلاء والموقف الأركوني من الوحي، وقد ظهر لنا بجلاء تأثير هؤلاء في المسيرة الفكرية لأركون، فمزاعم أركون تتوافق مع مزاعمهم في التشكيك في مصدر الوحي ونفي كون القرآن مصدرًا للتشريع، ولا غرو أن يتأثر أركون بأساتذته من المستشرقين والفلاسفة الغربيين، إذ تربى على موائدهم وقضى جل حياته ينهل من فكرهم، فكان لابد من رد الجميل لأساتذته الذين تنكروا للأديان عامة وللإسلام خاصة، فصار الرجل في ركابهم وحذا حذوهم وتقلد مذهبهم في الثورة على الأديان وأنها السبب الرئيس في التخلف وإعاقة التقدم العلمي، زاعمًا بأن المسلمين والعرب إن أرادوا، أن يلحقوا بركب الحضارة، فلابد أن يسيروا سيرة الغرب في الثورة على الدين، وكانت طريقته التضليل باسم العلم، والخداع باسم النظريات العلمية الحديثة، وقد تناسى أركون وغيره من علماني المسلمين أن ما ينسحب على دين لا ينسحب على الآخر، فإذا كانت اليهودية والنصرانية قد دخلها التحريف، والعبث بكتبها مما اصطدم بالعقل والعلم والواقع الإنساني فإن الإسلام لا يتعارض البتة مع العلم أو العقل أو النظريات الاجتماعية ونظريات علم النفس، ولكنه التعصب الأعمى والبغيض الذي جعل هؤلاء غير محايدين فعمموا الأحكام، وألهوا الإنسان.

وصدق الله العظيم إذ يقول :﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾ [٢١٦].

---

٢١٥ - الوحي في الأديان الثلاثة د. ليلى زكي قطب ص٤٣٢.

٢١٦ - سورة الكهف آية٥.



المبحث الخامس

المشروع الأركوني في ميزان الإسلام

لا شك أن المشروع الأركوني لهو محاولة منه لأنسنة الدين، وتفريغه من محتواه، وذلك بإلغاء ثوابته ومطلقاته ومقدساته، من الله إلى النبوة إلى الرسالة إلى الوحي إلى الغيب، إلغاء كل ذلك بإعطائها مضامين ومفاهيم إنسانية أرضية ،أي إلغاء الغيب كمصدر للمعرفة، وقصرها على عالم الشهادة، وقصر سبل هذه المعرفة على العقل والتجريب وحدهما، أي إلغاء كل ما يجاوز الحس والمشاهدة، وتأويل وتفسير كل ما له علاقة بالدين والغيب والألوهية والنبوة والرسالة والوحي على النحو الذي يؤنسنه ويجعله إفرازًا بشريًا، فنحن إذن، بإزاء استعارة لفلسفة التنوير الغربي العلماني، يريد أركون أن يتعامل بها مع الإسلام، كما تعامل التنويريون الغربيون مع النصرانية الأوروبية الحديثة، وأنى لأركون أن يتعامل بهذه الفلسفة التنويرية وبمناهجها في التعامل مع الدين الإسلامي !!

هذا ويمكننا الرد على المزاعم الأركونية فيما يلي:

أولًا الرد على أركون في القول بسلطة العقل وأنسنة الوحي :

كيف لأركون القول بتوسيع مجال العقل ليجعله حاكمًا على كل شيء والعقل مخلوق ونظرته محدودة وضيقة ولا يستطيع الوصول إلى معرفة كل شيء مما يثبت سلطان الدين الموحى به من عند الله على هذا العقل، فهناك أشياء لا مجال للعقل فيها ولا سلطان له عليها كأمور الغيب التي استأثر الله– تعالى– بعلمها والسمعيات وما حوته من الدار الآخرة والعذاب والنعيم، والجنة والنار، والثواب والصراط والحساب وغيرها، ولا سبيل إلى معرفة هذه الأمور إلا عن طريق القرآن وأحاديث الرسول (ﷺ) أيضًا في عالم الشهادة لا يستطيع العقل



معرفة دقائق الأمور وتفاصيلها والحكمة من حدوثها، فهذه الأمور كلها لا يعلمها إلا الله"جل وعلا".

والعقل له قيمة عظيمة في الإسلام حيث جعله مناط التكليف وتحدث عنه في القرآن الكريم وذم أولئك الذين يعطلون عقولهم فقال جل شأنه ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢١٧).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (٢١٨).

وليس معنى هذا أن نطلق العنان للعقل في فهم النص القرآني بلا مرجعية نقلية أو لغوية أو سياقية، أو دلالية فهذا أمر مرفوض، لأن كثيرًا من العقول قاصرة عن إدراك معنى كلام الله "تعالى" وقد يدرك العقل الواحد في فترة مالم يدركه في فترة أخرى فبالتالي سيرى ما أدركه سابقًا خلف ظهره وهكذا، فلا ثبات إذن للمعنى ولا دلائل ومقاصد معتبرة.

وأنه لا يعقل أن ننحي الوحي جانبًا عند تأويل القرآن الكريم حتى نعطي العقل فرصته الكاملة في التأويل بحجة أنه عائق في التأويل، وهو ليس كذلك، وإذا حدث ذلك كيف نفسر الآيات التي تتحدث عن الوحي وإنزال القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٢١٩).

٢١٧- سورة الفرقان آية٤٤.

٢١٨- سورة البقرة آية ١٧٠.

٢١٩- سورة النساء آية١٦٣.



وقوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (٢٢٠).

وقوله تعالى﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢٢١).

وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ (٢٢٢).

وقوله تعالى﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (٢٢٣).

وغيرها من نصوص القرآن التي تتحدث عن الوحي وعن إنزال القرآن الكريم، فكيف سيتعامل العقل مع هذه النصوص عند تنحيه الوحي جانب عنها ؟.

فالعقل الأركوني الذي أوصل أركون إلى أن الدين من قبيل الخيالات والأوهام والأساطير والقرآن مثله مثل التوراة والإنجيل المحرفين بل مثل النصوص البوذية والهندوسية والبشرية كلها، هذا العقل لا يمكن الوثوق فيه بأي شكل وليس له سلطان على الشرع ،بل الشرع مسلط عليه ليبين انحرافه وانحطاطه.

يقول سليمان الحراشي : " إن أركون من أهل التحريف العقدي الذين يحاربون الإسلام من داخله بإثارة شكوك المسلمين بما يؤمنون به، يهدفون عبر زعزعة الترابط العقدي تفكيك المجتمع الإسلامي برمته، يصفون أنفسهم بأنهم علماء مجتهدون متفرغون لتطوير المعرفة، ولا تخرج مقولاتهم من كونها لونا

٢٢٠- سورة يوسف آية٣.

٢٢١- سورة فاطر آية٣١.

٢٢٢- سورة الأعراف آية٢٠٣.

٢٢٣- سورة الشعراء الآيتان ١٩٢، ١٩٣.



من ألوان الرقاعة الثقافية، يعتبرون أنفسهم باحثون تحرروا من المعارف الخاطئة التي تعارف عليها كل المسلمين عن الإسلام، يدعون إلى العقلانية ويطالبون بإتساع العقل وحرية البحث حتى في القضايا الدينية الحساسة التي ترتبط بما هو مقدس ولا يمس كالوحي والقرآن والسنة، همهم الأول القضاء على الإيمان العقدي ومحوه من الأفق البشري، حتى لا يبقى هناك إلا الأفق الاجتماعي، أفقهم المعرفي لا يخرج عن حدود الفكر الغربي والثقافة الأوربية يتزلقون للغربيين حتى القسس منهم على حساب دينهم، ولهذا راحوا يتصورون أن الإسلاميين كآباء الكنيسة يقتلون في الإنسان حسن المبادرة والحركة ويدعون إلى الاستكانة والاستسلام ورفض الانخراط في العالم " [٢٢٤].

وإذا كان محمد أركون أعطى السلطة المطلقة والمرجعية الدائمة للعقل في معرفة الأمور فنادى بأنسنة الوحي، فالعقل في الإسلام يمثل قوة ربانية يسرها الله للإنسان ليميز بها بين الخير والشر، والحق والباطل لكن هذا العقل من القصور بمكان، بحيث لا يسعه معرفة كل الأمور والبحث في جميع الأشياء، كان الوحي الإلهي هو الضابط لهذا العقل والبوصلة التي تحدد له الاتجاه الصحيح والمسار الذي ينبغي التوجه إليه.

كما أن قول أركون بسلطة العقل وسيادته في فهم النص القرآني والعقل عنده ظاهرة تاريخية متطورة من حين لآخر، معنى هذا أن ما يفهمه العقل ويدركه في فترة من الزمن يختلف عما يفهمه ويدركه في فترة أخرى أي أنه لا توجد حقائق ثابتة ولا مفهوم ثابت، وهذا لا يتفق مع القرآن الكريم لأن حقائقه ودلالاته ثابتة لا تتغير خاصة الآيات القطعية الدلالة، لذا نجد أركون يحدد مفهوم العقل عنده " لا أقصد بالعقل المفهوم الجاري عند فلاسفة الإسلام والمسيحية الموروث عن الأفلاطونية والأرسطية، وهو القوة الخالدة المستنيرة بالعقل

٢٢٤- نظرات شرعية في فكر منحرف ٥٧٥ : ٥٧٧ بتصرف.



الفعال، المنيرة لسائر القوى الإنسانية في النشاط العرفاني، بل أقصد القوة المتطورة المتغيرة بتغير البيئات الثقافية والأيديولوجية، القوة الخاضعة للتاريخية " (٢٢٥).

ويقول في موضع آخر " الفرق الوحيد بين عقل الحداثة وعقل ما بعد الحداثة، هو أن الثاني وهو يبلور المعارف الجديدة، يعرف أنه لن يصل إلى الحقيقة المطلقة، إنه يصل إلى حقائق نسبية، مؤقته، قد تدوم طويلًا أو أكثر، ولكنها حتما لن تدوم أبديًا"(٢٢٦).

فالعقل الحداثي وما بعد الحداثي " هو عقل التأويل المنفتح على لا محدودية الحقيقة ولا نهاية المعنى " (٢٢٧) ولا يخفى على القارئ أن مفهومًا للعقل كهذا، لابد وأن تنعدم عنده الحقائق بالكامل، ويفسح المجال للنسبية والعدمية، وبالتالي تغيب المعيارية، لأن معيار وجوده مرتبط بوجود المبادئ الكلية الضرورية، وإذا غاب المعيار الذي يفصل بين الصواب والخطأ، لم يبق هناك مجال للتفاضل، بل كل شيء متكافئ ومتجانس، وحينها لا يمكن تأصيل أي فكر ولا الثبوت على رأي واحد، لأن الأصل لا وجود له " (٢٢٨).

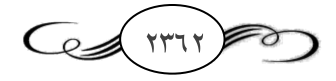
إن المشروع الأركوني كله قائم على نقد التراث أراد به أركون تحريف كل ما هو صحيح في التراث الإسلامي قرآنًا كان أو سنة أو تشريعًا أو عقيدة أو غيرها، وادعاء تاريخيته ، محاولة منه لهدم ذلك التراث العظيم وتشويه صورته، متابعًا في ذلك ما يقوله أعداء الإسلام من المستشرقين والحداثيين الغربيين عن هذا التراث.

٢٢٥- نحو تقييم واستلهام جديدين للفكر الإسلامي، محمد أركون ص٤٣ مجلة الفكر العربي المعاصر يصدرها مركز الإنماء القومي بيروت العدد٢٩ عام١٩٨٣م.

٢٢٦- قضايا في نقد العقل الديني " كيف نفهم الإسلام اليوم " محمد أركون ص٣١٧.

٢٢٧- موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال ص١٦٩.

٢٢٨- بين أركون والجابري في نقد العقل العربي الإسلامي قراءة تحليلية للأبعاد الفلسفية عبد الله المالكي ص١٤، ١٥.



ذلك التراث الذي قاد الأمم وصنع الحضارات ويأتي أركون وأمثاله ليغيروا على هذا التراث العظيم لتنشأ أجيال ترتمي في أحضان الغرب كما ارتمى هو وأمثاله من قبل، إن الغارة على التراث الإسلامي ل " خطوة أولى في زلزلة الانتماء الحضاري للأمة، وعزل للأجيال القادمة عن ماضيها بما يحتويه من دين وعقيدة، ورصيد تاريخي وحضاري ضخم، مما لا يسعها التخلي عنه أو تجاوزه في معاركها الحضارية المقبلة"[٢٢٩].

ويجدر الإشارة هنا إلى ما قاله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أحمد الطيب في مؤتمر " الأزهر العالمي في تجديد الفكر الإسلامي " [٢٣٠] عن التراث، حيث كان مما قاله فضيلته : " إن حرب التراث وحرب الحداثة شيء مصنوع صنعًا لتفويت الفرص علينا، فهناك ماكينة خبيثة ملعونة تدبر نمط التفكير لدينا، إن تصوير التراث بأنه كان شيئا يورث الضعف ويورث التراجع هذه مزايدة على التراث، هذا التراث الذي نهون من شأنه اليوم، حمل مجموعة من القبائل العربية التي كانت متناحرة ولا تعرف يميناً من شمال في ظرف ثمانين عامًا، إلى أن يضعوا قدمهم في الأندلس وقدمهم الأخرى في الصين لأنهم وضعوا أيديهم على مواطن القوة، هذا التراث خلق أمة كاملة وتعايش مع التاريخ، كما أن مقولة التجديد مقولة تراثية وليست مقولة حديثة وهي موجودة في كتب التراث والحدثيون يصدعوننا بهذا الكلام وهو مزايدة منهم لا أصل لها " [٢٣١].

إن أركون لا يرى هذه الحقائق لأنه تربى في أحضان الغرب، أساتذته مستشرقين بل هم أظلم من استشرق فماذا ينتظر منه ! والسؤال هنا هل نجحت الحداثة ؟ إن الواقع ليشهد بفشلها حتى وأن كثر دعاتها فهم قلة قليلة بين أهل

٢٢٩- الغارة على التراث الإسلامي جمال سلطان ص٨٢ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢٣٠- المنعقد في ٢٩ يناير سنة ٢٠٢٠م.

٢٣١ - من فيديو على يوتيوب قناة الغد الفضائية Alghad TV Website.



الفطرة السليمة الذين تنفر قلوبهم وعقولهم عن كل ما هو غريب ودخيل على الإسلام، وكان الأحرى بأركون أن يفرق بين التراث والوحي إذ التراث مصدره إنساني والوحي مصدره إلهي لا يدخل تحت النقد، لكن أركون عمل على أنسنة الوحي كي يطاله النقد والذي كان أولى خطواته هو نزع القداسة عنه، لذا فلابد من المعرفة بأنه – لا يجوز مبدئيًا – قبول أي اجتهاد جديد منسوب إلى الإسلام يصدر من أشخاص لا يلتزمون بالإسلام أصلًا في ممارستهم الحياتية على مستوى السيرة السلوكية " خلقًا وعبادة " أو على مستوى الانتماء الحضاري، عقائديًا كان أو ثقافيًا أو مذهبيًا، وذلك حتى يكون الشباب المسلم على وعي تام بما يبثه هؤلاء من سموم فكري يدعو إلى الانحلال الديني والخلقي.

إن ما يقوله أركون عن الوحي خارج عن حدود العقل وهذا ليس غريب عنه، وقد نادى بنزع هالة القداسة عن الوحي، إن أساس قوله هو الإيمان بالمادة المجردة عن عالم الغيب والوحي، والتعامل مع النص القرآني كأي نص بشري مع غض النظر عن خصوصيته وتجاوزها قصدًا، وحتى نصوص البشر لا يمكن تفسيرها بعيدًا عن قائليها فكيف بقائل القرآن، عالم الغيب والشهادة.

ثانياً: **الرد على أركون في القول بالنزعة الإنسانية** :

إن الرؤية الأركونية للوحي ولحاجة المسلمين إلى النزعة الإنسانية لرؤية خاطئة كما أنها نشأت عن غير دليل وقياس خاطئ.

إن أركون يمجد الإنسان على حساب خالقه، وحساب وحيه قرآنا كان أو سنة، فأولى أولويات أركون مصلحة الإنسان لذا دعا إلى أنسنة منفتحة تدافع عن حقوق الإنسان، وتحرير الوضع البشري من الاضطهادات والقمع والظلم.

فأركون دعا إلى نزعة إنسانية إلحادية عن طريق التخلص من الدين بنقده وجعله في حيز التاريخ لاغير.



إن النزعة الإنسانية مذهب فلسفي أدبي مادي لا ديني، يؤكد فردية الإنسان ضد الدين ويغلب وجهة النظر المادية الدنيوية وهو من أسس فلسفة " كانت " الوضعية وفلسفة " بنتام " النفعية وكتابات " برتراند راسل " الإلحادية، وهذا يعني فشل هذا المذهب على الصعيد العقدي، فقد منى الإنسان بأماني كاذبة لم تتحقق على الإطلاق ونسى أن طريق الخلاص لا يمكن أن يتم إلا من خلال الرسالة المحمدية الخاتمة [٢٣٢].

كما أن النزعة الإنسانية التي ظهرت في أوروبا إبان عصر النهضة كانت سببها تسلط الكنيسة فيما يسمى بعصور الظلام واضطهاد الإنسان وتقيده بقوانين صارمة لمن يخالف أمرها، ولكن ما ينسحب على المسيحية لا ينسحب على الإسلام، فليس في الإسلام كهنة ولا حجر ولا واسطة بين العبد وربه، ومتى حدث ذلك في الإسلام حتى يقول أركون أننا في حاجة ملحة إلى تلك النزعة غربية المنشأ ، وما الدليل على اضطهاد المسلمين لعلمائهم واحتكار العلماء للفكر دون غيرهم حتى يقيس أركون الإسلام على المسيحية ؟ إن الإسلام هو الذي دعا إلى استعمال العقل، وبالتالي لم يحجر عليه كما فعلت الكنيسة، والإسلام هو الذي كرم الإنسان، وتعاليمه كلها إنسانية قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠ ﴾[٢٣٣].

كما أن القطيعة مع الله أكبر خطأ وقعت فيه النزعة الإنسانية الحداثية هو الاعتقاد بأن لا سلطة فوق الذات، واعتبار الدين جزء من الماضي واعتبار الأخلاق جزء من التراث فلا بد من رفع اليد عنها، جميعا وطرحت هذه الفكرة

٢٣٢ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة مانع بن حماد الجهني ج٢ ص٨٠٢ بتصرف طبعة عام ١٤٢٠هـ الناشر دار الندوة العالمية الرياض.

٢٣٣ - سورة الإسراء من آية ٧٠.

أصالة الإنسان فهو فوق التراث وفوق الماضي، وفوق القيم الموروثة وفوق كل شيء.

والقرآن الكريم ليس ضد الإنسان حتى يحاول أركون أنسنته ليثبت به تاريخيته، لكن قائل القرآن – جل وعلا – هو الذي كرم الإنسان بالعقل وميزه عن باقي المخلوقات بأن نفخ فيه من روحه وهو أعظم تكريم للإنسان، وجعله خليفة له في الأرض وسخر كل ما في الكون لخدمته، فلا داعي لما يريده أركون من أنسنة النص، لأن النص نزل من أجل الإنسان.

ثالثاً : **الرد على أركون في اطلاق لفظ الظاهرة على النصوص القرآنية والنصية المدونة المغلقة على المصحف** :

إن القضايا التي آثارها محمد أركون وغيره من الحداثيين بخصوص الظاهرة القرآنية بدأ من التسمية ليست من القضايا الجديدة في الدراسات القرآنية، وقد سبقه إلى إثارتها كثير من المستشرقين ، كما أن أثارة أركون لهذه القضايا تفتقر إلى الدلائل والبراهين، وهذا ما يجعل بناءه الفكري الذي يدعي له العلمية بناء متهافتاً سريع السقوط (٢٣٤).

ولا يمكن الجمع بين لفظ الظاهرة " وكلمة القرآن في مركب إضافي، **فالقرآن** يقتضي العلم الحق، والحقيقة اليقينية المطلقة بدليل ما جاء فيه وهو قوله تعالى " **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** " (٢٣٥)، **أما الظاهرة** فنسبية وتحتمل التفسير المتعدد وقد لا تفهم بسبب غموضها، أو تفهم بعد زوالها عن طريق مخلفاتها (٢٣٦).

٢٣٤- محمد أركون والمنهج الألسني النقدي في دراسة الظاهرة القرآنية أحمد بوعود متاح على هذا الرابط.https://vb.tafsir.net/tafsir10102/#.WOP6XNIrLIU

٢٣٥- سورة سبأ آية٦.

٢٣٦- أولويات في نقد القراءات المعاصرة للقرآن، نموذج محمد أركون عبد القادر محجوبي ضمن أعمال ملتقى أهل التفسير ملتقى الانتصار للقرآن الكريم.



كما أن إطلاق وصف الظاهرة على النصوص القرآنية أمر مبتدع لم ينص عليه قرآن ولا سنة ولا في أقوال سلف الأمة، لأنه لا يليق أصلًا وصف القرآن بالظاهرة، **لأن الظاهرة** تخضع لإجراءات وتجارب مادية متكررة قد تتفق نتائجها أو تختلف، **والآيات القرآنية** لا تخضع للتجارب أبدًا لأنها ليست نظرية علمية بل هي قول الله الحق، ولا يتوقف العمل بها على التجارب ونتائجها، بل تطبق كما أمر الله –تعالى– ويكون شعار المسلمين حينئذ كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (٢٣٧).

وكما قال عز من قائل ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (٢٣٨).

رابعًا : **الرد على أركون في التسوية بين القرآن وغيره من الكتب المنزلة " التوراة والإنجيل "** :

كيف لأركون أن يساوي بين كتاب الله القرآن الكريم وبين غيره من الكتب المنزلة في " التوراة والإنجيل " والتي امتدت إليها الأيادي الآثمة بالتحريف والتبديل، فشتان بين ما أنزله الله– تعالى –بأسلوب بديع بليغ معجز وبين غيره من الكتب التي لا تتسم بصفة الإعجاز، وبين ما تكفل الله بحفظه فحفظه إلى يوم الدين وبين ما وكل حفظه إلى الأحبار والرهبان فضيعوه وحرفوه وبدلوه، وشتان بين كلام رب القوى والقدر وكلام البشر.

لقد جعل أركون الإسلام بإزاء المسيحية واليهودية في كل شيء حتى في الوصف فلفظ الأرثوذكسية معروف ومشهور بأنه مصطلح مسيحي ، لكن أركون يصف به الإسلام لأنه لا يروق له معناه اللغوي والذي هو : " الخط المستقيم أو

٢٣٧- سورة النور آية٥١.

٢٣٨- من سورة البقرة آية٢٨٥.



الرأي الصحيح، إنما أخذ معناه الاصطلاحي والذي يعني عنده : النواة العقائدية الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما، أو لأيديولوجية ما أو لاتجاه سياسي ما، والتي ترفض كل ما يقع خارجها باعتبار أنه ضلال وهرطقة " (٢٣٩).

وهذا الذي حدث بالفعل في العصور الوسطى المسيحية، ولم تتخلص أوربا عن هذا التسلط المسيحي إلا بالثورة على الكنيسة التي كانت تحتكر كل أمور الحياة حتى الفكر، أما في الإسلام فلن يحدث مثل ذلك وهذا من الافتراء عليه أن يقال أن " القرآن مثله مثل التوراة والإنجيل هو عبارة عن نص رسمي مغلق " (٢٤٠)، وافتراء أن يقال " أن الدراسات القرآنية متأخرة بالقياس إلى الدراسات التوراتية والإنجيلية" (٢٤١).

كيف يوصف القرآن بالانغلاق ورب القرآن حث العقول على التفكير في الكون واكتشاف ما فيه من أسرار لخدمة الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض ؟ ما هو دليل أركون على هذا الإفتراء ؟ ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (٢٤٢).

وقد صدق الله وعده في حفظه حيث قال :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٢٤٣).

٢٣٩- أين هو الفكر الإسلامي المعاصر محمد أركون ص٩، ١٠ترجمة هاشم صالح الناشردار الساقي الطبعة الثانية ١٩٩٥م .

٢٤٠- المرجع السابق ص١٦٤.

٢٤١- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي محمد أركون ص ٢٢الناشر دارالساقي الطبعة الأولى١٩٩٩م.

٢٤٢- سورة البقرة من آية ١١١.

٢٤٣- سورة الحجر آية٩.

فأين سبق في تاريخ البشر أن تحفظ أمة كتابًا تستمر على حفظه على تعاقب القرون، يستظهره الصغير والكبير، والناشئ والكهل، في المدن والقرى والأصفاع كلها، بحيث لو سها نال في كلمة منه أو حرف في أبعد المواطن عن العواصم يجد هناك من يرده إلى الصواب ويرشده إليه سوى هذا القرآن الحكيم، وقد حفظته الأمة يوم أن نزل، واستمرت على استظهاره وحفظه مدى الدهر في الأقطار الإسلامية كلها، وهذا أمر لا يشك فيه إلا من يشك في شمس الضحى، أو يتظاهر بالشك، لحاجب في النفس في الحقائق الملموسة (٢٤٤).

والسؤال لقراء ومعجبين بكلام من أدعى التسوية بين القرآن والتوراة والأنجيل، هل وجدت التوراة والإنجيل هذا الاهتمام أو حفظ الكتاب المقدس المزعوم ذلك الحفظ؟

كما أنه لا يمكن لإنسان مسلم أن ينقد القرآن الكريم ويخرج بنتائج تعارض تعاليمه الأساسية الواضحة المجمع عليها، يمكنه أن يخرج بنتائج فيما هو خاضع للاجتهاد، أو أن يحسن تنزيل الآيات على الوقائع والمستجدات الطارئة، أم من يقول إنه مسلم ثم ينسف كل تعاليم القرآن بإنتقاداته أو يحرفها أو يناقضها فهو إما متشكك أو منخلع من ربقة الإسلام ويظهر الإسلام نفاقًا (٢٤٥).

خامساً : **الرد على أركون في تطبيق المنهجيات الحديثة على آيات القرآن الكريم** :

إن تطبيق المناهج الحديثة في علوم الإنسان والمجتمع مثل اللسانيات والسيميائيات وغير ذلك واستخدام كل النظريات النقدية والفلسفية المستحدثة منها " اتجاهات تحليل الخطاب " والاتجاهات الجديدة في النقد الأدبي " المتمثلة في البنيويات " و" التفكيكات " وإطلاق سلطة العقل، كل هذا على نصوص الوحي الإسلامي ، إن تطبيق مثل هذه المناهج تؤدي إلى رفع هالة القداسة عن

٢٤٤- مقالات الكوثري الشيخ محمد زاهد الكوثري ص٢٣ المكتبة التوفيقية القاهرة.

٢٤٥- العلمانيون والقرآن الكريم ص٧٦٦ أحمد ادريس الطعان الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.



القرآن الكريم، وتتيح إمكانية نقده واعتباره كغيره من الكتب السماوية الأخرى التي امتدت إليها الأيادي الآثمة بالتحريف والتبديل، وإعتباره – أيضًا – كغيره من النصوص الأدبية التي أنتجتها العقول البشرية، وهذا غير صحيح لأن القرآن الكريم نص مقدس ومنزه عن النقد وليس كغيره من الكتب السماوية التي تم تحريفها وتغييرها فكانت عرضة للنقد ورفع القداسة عنها، بل هو محفوظ بحفظ الله" تعالى " له من التحريف أو التبديل، وأيضًا لأنه ليس منتجًا بشريًا تطبق عليه المناهج النقدية كاللسانيات والسيميائيات وغيرها، بل هو وحي من قبل الله " عز وجل " منزه عن النقد والتناقض والاختلاف.

يقول **سليمان عشراتي** : " إن المقاربات العقلانية، للنص القرآني التي يقوم بها أركون تجرده في الواقع من سمة القداسة، وتجعل منه مادة تنقيب واستكشاف مفتوحة على مختلف المناهج بما فيه المناهج ذات المنزع المادي الوضعي، فربط أركون لمبدأ الإعجاز بالحس الأسطوري، وبالذهنية البدوية هو تحوير لحقيقة يقرها الخطاب القرآني ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ (٢٤٦) (٢٤٧).

إن مقصود الحداثيين من التعامل مع الآيات القرآنية بكل وسائل النظر والبحث التي توفرها المنهجيات والنظريات الحديثة .. إلخ هي وسائل النظر والبحث والمنهجيات ومصادر المعقولية والتفكير الغربية وعلوم الإنسان والمجتمع الغربي، ومحاولة إسقاطها على الآيات القرآنية لفهمها أو تأويلها، بدليل نقدهم للعقل العربي عمومًا والعقل الإسلامي خصوصًا وثورتهم على

٢٤٦- سورة إبراهيم آية٤.

٢٤٧ - الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي سليمان عشراتي ص٦٠ طبعة عام ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.



التراث الإسلامي ويدل على هذا أيضًا قول **هاشم صالح** في مقدمته لكتاب قضايا في نقد العقل الديني " كيف نفهم الإسلام اليوم " لمحمد أركون : " إن ما يفعله أركون بالنسبة للتراث الإسلامي يشبه إلى حد بعيد ما فعله علماء أوربا ومفكروها بالنسبة للمسيحية " [٢٤٨].

ولا يخفى على ذي بصيرة ما في هذه الإسقاطات الاندفاعية من عيوب منهجية صريحة تفقد التحليلات الحاصلة قيمتها كما تفقد النتائج المتوصل إليها مصداقيتها.

لقد وضع أركون القرآن تحت محك النقد التاريخي وإثبات تاريخية القرآن والقول بأنسنة الوحي، وعليه فلا تكون هناك حاجة داعية إليه، وكان من نتائج نزع القداسة عن القرآن الكريم والوحي أنسنة النص أي جعله إنسانيًا وكل هذه نتائج أفرزتها النظرة الماركسية القائمة على التفسير المادي للتاريخ، ونقول لأركون وأمثاله إن تقديس القرآن فرع من الإيمان بالله – جل وعلا – ومن يقل إنه مؤمن ويريد نزع القداسة عنه فهو مناقض لنفسه ولا يمكن قبول تفسيره فضلًا عن تأويله قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٢٤٩].

وقوله تعالى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٢٥٠].

إن أركون يريد إفساد أذهان المسلمين عن طريق الألسنيات المزعومة التي يستخدمها في تأويله، فهو يريد استبدال الألفاظ القرآنية بتلك المصطلحات

٢٤٨- قضايا في نقد العقل الديني " كيف نفهم الإسلام اليوم " لمحمد أركون ترجمة هاشم صالح ص١٥.

٢٤٩- سورة يونس آية٣٧.

٢٥٠- سورة فصلت آية٤٢.



المستوردة من الغرب كاستبدال كلمة " آية " بمصطلح وحدة نصية " والقرآن " بمصطلح الظاهرة القرآنية، وفي اللغة العربية ثراء يغنينا عن تلك المصطلحات، لذا ينبغي لقارئ أركون ألا ينخدع بكلامه ولا بما يقال عن الألسنيات مما هو إنتاج غربي يبقى المسلمون معتزين بلغة القرآن ويطمئنوا لصلاحيتها في كل زمان ومكان.

إن الانسياق في تقمص المناهج الحديثة وحدها في فهم النصوص عملية لها مخاطر عديدة ونتائج، قد تخرج اللسانيات بالنصوص عن أهدافها، نظرًا للانسياق الحاد وراء قواعد اللسانيات وتطبيقاتها، فالتعامل مع النصوص يقتضي دراسة الخطاب، والإحاطة بمختلف جوانبه من سياق ومقام ونحوه إضافة إلى أن الدراسات اللسانية وما تعتمده من مناهج حديثة تعود في جذورها إلى الوعي الغربي الحديث، والذي لم يجد في دراسته ونقده لنصوصه الكتابية ثمة اختلاف عن أي نص آخر " (٢٥١) لكن القرآن الكريم يختلف تمامًا عن أي نصوص أخرى أدبية كانت أو فلسفية، لأنه كلام الله المعجز بيانيًا وتشريعيًا وعلميًا وغيبيًا.

كما أن محمد أركون نفسه اعترف بالضعف والنقص الذي يعتري هذا المنهج عند تطبيقه على النص الديني حيث قال : " نحن واعون في الواقع بالنواقص أو نقاط الضعف التي تعتري القراءة الألسنية وبخاصة عندما تطبق على ما يدعى بالكتابات المقدسة، والأمر لا يتعلق أبدًا بإخضاع القرآن، أو التوراة، أو الإنجيل إلى امتحان علم واثق من أسسه وإمكانياته، أو وسائله بل على العكس، فنحن لا نستبعد أبدًا فكرة إخضاع الألسنيات المعاصرة إلى امتحان نص يمكنه أن يزعزع الكثير من اليقينات الدوغمائية " (٢٥٢).

والمنهج السيميائي الذي أراد أركون تطبيقه على القرآن لا يمكن قبوله بأي

---

٢٥١ - أثر العرف في فهم النصوص قضايا المرأة أنموذجًا رقية طه جابر العلواني ص٢٥٩.
٢٥٢ - القرآن من التفسير الموروث ص١١٣.



حال من الأحوال ،لأن هذا المنهج إذا طبق على الألفاظ القرآنية فإنه يحملها ما لا تحتمل من معان ودلالات وإشارات خارجة عن ظاهر النص، لم تكن من معهود الشارع فهي مبطلة للثقة بالألفاظ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية وقد أشار (ﷺ) إلى هذا المنهج الخطير وحذر منه وذلك من المعجزات النبوية، فعن أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول " ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها " [٢٥٣] فاستحلال الخمر عن طريق التلاعب باسمها وتغييره فيكون ذلك ذريعة إلى شربها.

فإن " الإنحراف بالكلمة عن موضعها تشويه لمعناها، وأن الميل بها عن قاعدة نظمها من التركيب هدم لمعنى العبارة ، وفي هذا الميل والإنحراف تضييع للدين وعبثًا بأحكامه " [٢٥٤].

فهذا المنهج يركز على الدلالات الإشارية للحروف والألفاظ، ويهمل تفسير الألفاظ والجمل في سياقها، ويغفل أيضًا مضمون النص ودلالاته المعنوية، مما يؤدي إلى قصور في فهم النص، وبالتالي قصور في العمل به.

أيضًا هذا المنهج – كما قال أركون – يعرض القرآن الكريم للنقد الفكري، وهو منزه عن ذلك، لأن النقد إنما يكون لبيان الاختلاف والتناقض أو العيوب التي اشتمل عليها، والقرآن الكريم ليس فيه شيء من ذلك لأنه ليس من كلام البشر بل من كلام رب البشر– سبحانه– كما أن المنطلق الرئيسي للسيميائيات كان هو الحكايات الشعبية، مما يجعل تطبيقها على النص القرآني فيه الكثير من المغامرة، أضف إلى ذلك أنه ما من نظرية ظهرت إلا وتحمل في طياتها نزعات

---

٢٥٣ - سنن أبو داود كتاب الأشربة الجزء الثالث ٣٢٩.

٢٥٤ - معايير القبول والرد تفسير النص القرآني عبد القادر محمد الحسين ص١٣٩ الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م دمشق.



الإيديولوجية التي أبدعتها قد لا تتفق والإيديولوجيات والهويات الأخرى، كما أن تطبيقها لا ينفصل عنها (٢٥٥).

وما ترتب على المنهج السيميائي من القول بأن الآيات القرآنية – كما زعم أركون – مبنية على أساس سلسلة متسلسلة من الأحداث المركبة على هيئة بنية دراماتيكية أو مسرحية مثيرة (٢٥٦) " لا يليق أن توصف به آيات القرآن لأن الفرق بينها وبين الدراما بعيد والبون شاسع ، إذ أن الدراما عبارة عن حكاية لجانب من الحياة الإنسانية يعرضها ممثلون يقلدون الأشخاص الأصليين في لباسهم وأقوالهم وأفعالهم، ورواية تعد للتمثيل على المسرح " (٢٥٧).

وأحداث القرآن الكريم وقصصه حقيقية وليست دراما أو مسرحية تقليدية للمرح واللهو يقلد فيها أحد أحدًا، بل قام بها أشخاصها الحقيقيون وحكاها القرآن الكريم للعبرة والعظة.

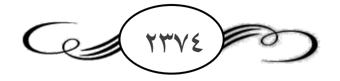
كما لا يصح **تطبيق المنهج البنيوي** على آيات القرآن الكريم لأن هذا المنهج وإن صح تطبيقه على النص الأدبي فلا يصح بحال تطبيقه على النصوص القرآنية لأنه " للتوصل إلى بنية الأثر الأدبي – عند البنيويين – ينبغي تخليص النص من الموضوع والأفكار والمعاني والبعدين الذاتي والاجتماعي، وبعد عملية التخليص أو الاختزال يتم التحليل أو تحليل النص بنيويًا من خلال دراسة المستويات السابقة الذكر " (٢٥٨).

٢٥٥ - محمد أركون والمنهج الألسني النقدي في دراسة الظاهرة القرآنية أحمد بوعود وانظر أيضا مقاربات تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات د/ أحمد يوسف. متاح على هذا الرابط : https://boudramazaidi.blogspot.com/2016/01/Lanalysedu-discours-de-la-inguistique-a-la-semiotique.html

٢٥٦ - القرآن من التفسير الموروث ص٣٤، ٣٥.

٢٥٧ - المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الأول ص٢٨٢.

٢٥٨ - مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية عبد الله خضر محمد ص ١٤٥.



وهذا التخليص والفصل لا يمكن تطبيقه على النص القرآني ،لأن علاقة النصوص بما دلت عليه من معاني وموضوعات علاقة وثيقة لا تنفك عنها ولا ينفصل الدال عن المدلول، خاصة إذا كان النص قطعي الدلالة.

ولأن هذا المنهج يؤدي إلى التعامل مع النص القرآني على أنه نص مستقل بعيدًا عن كونه وحيًا إلهيا فيكون المؤول له الحرية في انتقاد النص القرآني كيفما يشاء، ولاشك أن هذا باطل لأن القرآن الكريم هو كلام الله – جل وعلا – القديم المنزه عن النقد أو التناقض والاختلاف قال عز من قائل ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٢٥٩).

ولو كان قابل للنقد لأنتقده لغويًا من هو أفصح منه لسانًا وهم العرب الذين عاصروا نزول القرآن بلغتهم.

كما **أن البنيوية** قد فشلت وأنهارت وانقطعت صلتها بالنقد الأدبي كما يقول هاشم صالح مترجم أركون " الواقع أن البنيوية الشكلية سقطت الآن، ولكنها كانت مهيمنة على الدراسات الأدبية، وبل طاغية عندما كتب أركون دراسته هذه " (٢٦٠).

وإذا كان المنهج البنيوي فشل في تفسير النصوص الأدبية، فكيف يمكن تطبيقه على النصوص القرآنية المقدسة ؟!!

إن المنهج النقدي الذي يدعو إلى التعامل مع القرآن الكريم على أنه مجرد نص لغوي يؤدي إلى نزع القداسة عن القرآن الكريم وهيبته وهذا ما صرح به أركون حيث قال : " النظر إلى الكتاب المقدس من الزاوية النقدية التاريخية

---

٢٥٩ - سورة النساء آية ٨٢.

٢٦٠ - القرآن من التفسير الموروث ص١١٣ هامش مترجم.



والاجتماعية العلمية والأنتروبولوجية من شأنه بالطبع أن يزعزع جميع الأبنية التقديسية والتنزيهية التي بنها العقل اللاهوتي " [٢٦١].

وقال علي حرب أيضًا : " لا مراء أن النقد كما يمارسه أركون يؤدي إلى نزعة هالة القداسة عن الوحي، بتعريته آليات الأسطرة والتعالي، التي يمارسها الخطاب في تعامله مع الأحداث والوقائع التاريخية أو مع التجارب والممارسات الإنسانية " [٢٦٢].

وهذا ما قرره هاشم صالح مترجم أركون فقال " لكي نستطيع أن نفهم القرآن فإنه ينبغي علينا مسبقًا التحرر من الهيبة اللاهوتية الهائلة عندئذ، وعندئذ فقط نستطيع أن نرى القرآن في ماديته اللغوية وتراكيبه النحوية والمعنوية، ومرجعياته التاريخية المرتبطة ببيئة شبه الجزيرة العربية " [٢٦٣].

إن القول بإلغاء القداسة عن القرآن الكريم قول باطل لا يقول به عاقل لأن : قداسة القرآن الكريم فوق كل اعتبار، وفوق كل مقام [٢٦٤].

وهي بعد بدهي لا يمكن لأي مسلم أن يتجاوزه أو يغض الطرف عنه، ولابد لكل مسلم – حتى يكون مسلمًا – أن ينطوي في قلبه على تبجيل شديد لكتاب الله – عز وجل – وتمجيد وتعظيم لكلماته– سبحانه وتعالى– ولا يوجد أي تناقض بين هذه القداسة، وبين الشرح والفهم عن الله – عز وجل –

٢٦١- نافذة على الإسلام محمد أركون ترجمة صياح الجهيم ص٦٢ طبعة عام ١٩٩٦م الناشر دار عطية.

٢٦٢- نقد النص علي حرب ص٢٠٣ المركز الثقافي العربي المغرب طبعة عام ٢٠٠٥م.

٢٦٣- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون ترجمة هاشم صالح ص٢٩ في الهامش.

٢٦٤- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ج٣ ص٨٧٧ الناشر دار الفكر العربي القاهرة.



فالباري سبحانه أنزل كلامه ليفهم أولًا، وأحال في ذلك إلى أهل الذكر﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢٦٥) (٢٦٦).

وهو نص مقدس في ذاته، وذلك لطبيعته فهو كلام الله – عز وجل – فقدسيته من مصدره، كما أن قدسيته في غاياته، وهي بيان الحقيقة العليا التي هي الألوهية كما بينها هذا النص الكريم، وتوظيف هذا النص والتعامل معه في الحياة الإسلامية مما تتضمنه النص ذاته، ولذلك حدد النص القرآني كيف يتعامل معه، كما حددت السنة النبوية كيفية التعامل معه أيضًا، ويكون ذلك عملًا مقدسًا، أي عبادة يؤجر عليه المسلم ويتجلى هذا التوظيف المقدس – كما قلت – في طبيعة هذا النص أولًا، وفي مصدره فالقرآن الكريم كلام الله عز وجل " (٢٦٧)، وكلام الله " في المعتقد الإسلامي " صفة أزلية قائمة – بذاته – وهي أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده " (٢٦٨)، وما دام القرآن كلام الله فلا ينبغي أن يكون التعامل معه، كالتعامل مع أي كلام آخر ولا توظيفه – أيضًا – ولهذا يتجلى التوظيف المقدس للنص القرآني من خلال أمور كثيرة مثل كيفية تلاوته وآداب تلك التلاوة، والحث على المواظبة على تلاوته وتعلمه، واستحباب ختمه وغير ذلك من الأمور التي تؤكد التوظيف المقدس للنص القرآني " (٢٦٩).

وكذا عدم القول فيه بغير علم أو التعرض إليه بالنقد، و" من أوجه قداسته وطهارته وتنزيهه أنه خلا من التناقض ولم تتطرق إليه يد التحريف ولم يعتريه

٢٦٥- سورة النحل من آية٤٣.

٢٦٦- القرآن مقدس ولا مكان للقراءات التحريفية بدعوى التأويل حوار مع جريدة الوقت البحرينية د/ أحمد الطعان.

٢٦٧- إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر مرزوق العمري ص٢٥ طبعة عام ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

٢٦٨- أصول الدين لعبد القاهر البغدادي ص١٠٦ طبعة عام ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م.

٢٦٩- إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر مرزوق العمري ص٢٥.



عرى النسيان، فإنما هو بكامل قداسته وطهارته وتنزيهه منزل من الله – سبحانه وتعالى – وهذا الأمر له مصدر لابد أن نقف معه، وهو أن مصدر الوحي هو الله – سبحانه وتعالى – فهو من الله لم يقله بشر ولا ملك وأدلة ذلك فيه، بمعنى أن المتأمل للقرآن الكريم والناظر فيه يتبين له يقيناً أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من عند محمد (ﷺ) وأن هذا الكلام له قدسية، ومنزل من إله قادر قاهر يملك محمدًا (ﷺ) وسائر البشر – سبحانه وتعالى – بل يملك كل شيء، له ملك السماوات والأرض وما فيهن، جل في علاه " (٢٧٠).

وقد أقر أحد الحداثيين العرب وهو **محمد عابد الجابري** بعدم إمكانية نقد القرآن الكريم وأنه يختلف عن غيره من الكتب السماوية واعتبر عملية نقده أمرًا مستحيلًا حيث قال : " أما من يفكر في النقد اللاهوتي على غرار ذلك النقد اللاهوتي الذي عرفته أوربا، فهو يجهل أو يتجاهل الفرق بين الدين الإسلامي والدين المسيحي، الدين الإسلامي له كتاب مقدس لم يلحقه تغيير ولا تحريف منذ أن جمع في عهد عثمان، وليس هناك دليل قاطع على أن نوعًا من التحريف أو البتر أو التغيير قد حدث في فترة ما بين نزول القرآن وجمعه ثم قال : " إذًا نحن أمام أمرين لا ثالث لهما : إما أن القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي كان عند الصحابة زمن النبوة وزمن أبي بكر وعمر، وهذا ما يعتقده المسلمون قديمًا وحديثًا، وفي هذه الحالة فلا مجال لممارسة أي نقد لاهوتي على النص القرآني، وإما أن هناك تغييرًا أو بترًا وفي هذه الحالة سنكون أمام فرضية لا سبيل إلى إثباتها، الشيء الذي يجعل النقد اللاهوتي عملية غير ممكنة "(٢٧١).

٢٧٠- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم مناهج جامعة المدينة العالمية ص٥٨.

٢٧١- المسألة الثقافية في الوطن العربي محمد عابد الجابري ص٢٧٨،٢٧٩ الناشر مركز دراسات الوحدة العربية بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٩م.



ومن سلبيات منهج النقد التاريخي للكتب المقدسة التي يريد أركون تطبيقها على القرآن الكريم أنه يقوم على نظرية المصادر الإنسانية للعهد القديم وهي النظرية التي طورها المستشرق الألماني " بوليوس فلها وزن " مؤسس علم نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث (٢٧٢).

وهذا المنهج وإن كان يصح تطبيقه على التوراة والأناجيل لتعرضها للتبديل والتحريف الذي أخبر الله عنه، إلا إنه من الخطأ المنهجي ومن الضلال والانحراف محاولة تطبيقه على كتاب الله –تعالى– الذي حفظه الله من التدخل البشري، ومن كل تغيير أو تحريف كما أخبر تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾"(٢٧٣).

سادساً : الرد على المنهج الأركوني في تعامله مع عقيدة الإسلام :

إن المشروع الأركوني كله انحراف عن الإسلام الصحيح بل ربما لبس عباءة الإلحاد في شكل متأسلم ليس له من الإسلام إلا الاسم فقط، يقول أركون : " دين اسمه الإسلام، يقدم نفسه – استثناء على كل الأديان الأخرى– بصفته الدين الحقيقي، لأنه كان محلًا للوحي النهائي والأخير المعطى من قبل الله لكل البشر "(٢٧٤).

وكأنه لأول مرة يسمع عن هذا الدين، لذا نراه يدعو دائمًا إلى توحيد الأديان سماوية كانت أو وضعية فنراه يقول : " لا ينبغي علينا أن نفرق بين الأديان الوثنية وأديان الوحي " (٢٧٥).

---

٢٧٢ - مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم محمد خليفة حسن ص١٠ طبعة عام ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٧٣ - سورة الحجر آية٩.

٢٧٤- الفكر الإسلامي قراءة علمية محمد أركون ص١١٣.

٢٧٥- العلمنة والدين محمد أركون ص٥٠ الناشر دار الساقي بيروت سنة ١٩٩٦م.



" ويقول الدين الرسمي عن هؤلاء الساكنين في الأعالي إنهم أرواحيون .. أجل لقد خاض علماء الدين عندنا في الثلاثينات والأربعينات صراعًا ضاربًا مع إسلامنا نحن ذلك الإسلام الخرافي " (٢٧٦).

يتبين من النص السابق أن الإسلام لم يكن أصيلًا في نشأة أركون فليس له من الإسلام إلا اسمه لمجرد أنه ولد لأبوين مسلمين ووجد في مجتمع مسلم، ومن أبرز الملاحظات التي تدل على أن أركون لا يعترف بالإسلام أصلًا، رفضه تعظيم النبي (ﷺ) ودعوته بإسمه عاريًا بدون ألقاب حيث يقول " إني أدعوه – أي النبي (ﷺ) – هكذا بإسمه عاريًا من أي لقب كما نقول مثلًا عيسى الناصري"(٢٧٧).

إن رفضه لتعظيم النبي (ﷺ) لهو مخالفة لقول الله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٢٧٨).

وقد اعترف أركون بأنه علماني العقيدة حيث يقول: " أعلن على الملأ عقيدتي العلمانية بالمعنى الإيماني لكلمة عقيدة " (٢٧٩).

وذلك لأن الدين من وجهة نظر أركون " ليس محترمًا فعلًا ومستقلًا بذاته إلا في الأنظمة العلمانية الديمقراطية " (٢٨٠).

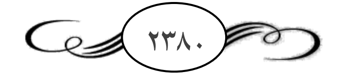
٢٧٦- العقل الإسلامي رون هالبير ص١٦٧.

٢٧٧- تارخية الفكر العربي محمد أركون ص٩٦.

٢٧٨- سورة النور آية ٦٣.

٢٧٩- أين هو الفكر الإسلامي محمد أركون ص٤١.

٢٨٠- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية محمد أركون ص١١١.



ولكن أي علمانية يريدها أركون ؟ هل هي العلمانية المعروفة : بفصل الدين عن الدولة ؟ إنه لا يتحدث عن العلمانية بمفهومها المعروف لدى علماء الأديان إنما يتحدث عن علمانية خاصة صاغها جريًا على عادته في إنشاء المصطلحات وإكسابها معاني خاصة من وجهة نظره وقد وضحها هو بقوله: " أنا لا أدعو للتراجع عن فكرة العلمنة بمعنى فصل الكنيسة عن الدولة ؟ وإنما ادعو لمراجعتها وإغنائها عن طريق إعادة التفكير بمسألة العامل الديني، والعامل الدنيوي بصفتهما بعدين لا يتجزءان من أبعاء الإنسان " [٢٨١].

إنها كما يزعم " علمنة إيجابية تسعى من أجل السلام بين الأديان، إنها تتمثل في تاريخ الأديان المقارن " [٢٨٢].

فعلمانية أركون عبارة عن مزيج من وحدة الأديان من جانب، والإلحاد من جانب آخر حيث رأى أن " فرضية الله كما يقول أو وجود الله ليست ضرورية من أجل العيش " [٢٨٣].

ويقول أيضًا : " العلمانية تحذف كليًا الموقف الديني وتعتبره شيئًا قديمًا باليًا " [٢٨٤] أليس هذا إلحاد ؟ إن أركون علماني في ثوب ملحد أو ملحد في ثوب علماني.

إن علمانية أركون تمثل إرهابًا فكريًا تضيف للعلمانية المعروفة مزيدًا من السوء، تضيف وحدة أديان تارة، وإلحاد تارة أخرى.

٢٨١- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ص٢٧٤.

٢٨٢- انظر الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ص٢٩٣ : ٢٩٥.

٢٨٣- العلمنة والدين أركون ص٧٢.

٢٨٤- العلمنة والدين أركون ص٧٢.



إن العلمانية هي سيادة العقل وحده وهي لا تؤمن إلا بما دلت عليه التجربة والحواس، والدين يقوم على مقومات غيبية لا عقلانية تدور قواعده على الله والرسل والجنة والنار وكلها مفاهيم من وجهة نظر أركون خرافية أسطورية لا يثبتها العلم التجريبي الحديث، وبالتالي فهي غير علمية ولا تتمتع بأية مصداقية، وعليه فالعلمانية والدين الإسلامي نقيضان لا يجتمعان، والنتيجة : استحالة تطبيق الإسلام في ظل نظام علماني.

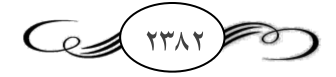
هكذا أراد أركون إحداث قطيعة مع التراث الإسلامي ونزع هالة من القداسة عن نصوص القرآن والوحي ومحاولة هدم الثوابت الدينية، ولم يكن له ذلك ولن يكون لغيره حتى يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤ ﴾ (٢٨٥).

وهذيان أركون ما هو إلا سفسطة وقد قال العلامة التفتازاني في أهل الباطل أمثال أركون :" والحق ! أنه لا طريق إلى المناظرة معهم، لأنهم لا يعترفون بمعلوم، ليثبت به مجهول بل الطريق تعذيبهم بالنار ليعترفوا أو يحرقوا " (٢٨٦).

وصدق الله إذ يقول ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ

٢٨٥- سورة آل عمران آية٥٤.

٢٨٦ - معايير القبول والرد ص١١٩.



أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [٢٨٧] وصدق الله إذ **يقول** ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [٢٨٨].

٢٨٧ - سورة الأعراف آية١٧٩.

٢٨٨ - سورة الأنعام من آية١٢٥.



الفصل الثالث
الوحي في الإسلام

تمهيد :

يعتبر الوحي بالنسبة لأي رسالة من الرسالات السماوية هو اللب والجوهر فالوحي هو عماد الدين وأساسه، وهو الصلة بين الله –تعالى– وبين رسله وأنبيائه–عليهم السلام– والتي بواسطته تتم معرفة هؤلاء الرسل بتعاليم الله وشرائعه وأحكامه لتبليغها إلى الخلق كما أمرهم الله.

ومن هنا كانت أهمية الإيمان بالوحي، لأنه أصل كل دين سماوى، وذلك كان إثباته اثباتاً لنبوة جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى البشرية قال تعالى ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾" [٢٨٩].

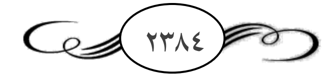
وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [٢٩٠].

فهذه هي سنة الله في أنبيائه –عليهم السلام – وهي طريقاً لأعلامهم بالنبوة وما يتبعها من اتصال الأرض بالسماء، فلا بد للرسول من حجة وبرهان يعلم به أن الله– تعالى– قد أرسله، وهذا الاعلام يكون عن طريق الوحي.

---

٢٨٩ - سورة النساء آية ١٦٣.

٢٩٠ - سورة الأنبياء آية ٢٥.



المبحث الأول

تعريف الوحي وأنواعه

تعريف الوحي لغة [٢٩١]:

يقول ابن حجر الوحي: لغة الإعلام في خفاء يقال وحيت إليه، وأوحيت إليه، إذا كلمته بما تخفيه عن غيره.

ويطلق الوحي في اللغة على معان كثيرة كالإشارة و الكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي ، وإلقاء المعنى في النفس ،والجامع بين هذه المعاني هو السرعة والخفاء فيكون معنى الوحي اللغوي: هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفي على غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل كقوله تعالى " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " [٢٩٢].

ومنه إلهام الخواطر بما يلقيه الله من روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾" [٢٩٣].

الوحي شرعاً :

للوحي تعريفات عدة باعتبارات مختلفة :

باعتبار معناه المصدرى " الايحاء " فيكون تعريفه " إعلام الله تعالى لنبي

---

٢٩١ - انظر المعجم الوسيط الجزء الثاني ص١٠١٨، مختار الصحاح عبد القادر الرازي ص٢٩٧ القاموس المحيط مجد الدين الفيروزآبادي ص١٧٣٧.

٢٩٢ - سورة النحل آية ٦٨.

٢٩٣ - سورة القصص آية ٧.

من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه " مثال الحكم الشرعي كوجوب الصلاة والصيام ... ونحوه كأحوال الآخرة من بعث وحساب وجزاء ...

باعتبار المعنى الحاصل بالمصدر " الموحي به "

فيكون معناه (٢٩٤) ما أنزله الله "تعالى" على أنبيائه وأعلمهم به من أنباء الغيب والشرائع والأحكام ، مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أوبغير واسطة.

أو هو كلام الله "تعالى" المنزل على أنبيائه "صلوات الله عليهم " بقصد التشريع (٢٩٥).

وعلى ذلك يكون الموحي به القرآن الكريم، التوراة، الإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وغير ذلك من الكتب المنزلة.

وقد ورد" الوحي " بمعناه المصدري ومعناه الحاصل بالمصدر في كثير من آيات القرآن الكريم.

فالوحي إلى الأنبياء بمعناه المصدري كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (٢٩٦).

والوحي بمعنى الموحي به كقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢٩٧) وقد اجتمع المعنيان المعنى المصدرى والمعنى الحاصل بالمصدر في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾

٢٩٤ - انظر الوحي المحمدي محمد رشيد رضا ص٤٤ الطبعة الثانية الناشر مؤسسة عز الدين بيروت

٢٩٥ - القول السديد في علم التوحيد محمود أبو دقيقة ص١٦٥.

٢٩٦ - سورة الأعراف آية ١١٧.

٢٩٧ - سورة الأنبياء آية ٤٥.



وقد أتى الشيخ **محمد عبده** بتعريف آخر للوحي ، وفرق بينه وبين الإلهام فقال الوحي : إنه عرفان يجده الشخص من نفسه ، مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه ، أوبغير صوت ويفرق بينه وبين الإلهام ، أن الإلهام وجدان تستيقنه النفس ، وتنساق إلى ما يطلب ، على غير شعور منها ، من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور[٢٩٨].

ومن هنا نخلص: بأن التعريف اللغوي للوحي غير خاص بالأنبياء كما لا يختص بكونه من عند الله " تعالى "، أما من حيث الشرع فهو خاص بالأنبياء وهو من عند الله فهو كلام الله " تعالى" المنزل على أنبيائه " عليهم الصلاة والسلام ".

أنواع الوحي :

ذكر الله– تعالى– أنواع الوحي في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾[٢٩٩].

فالوحي من الله للبشر ينحصر في هذه الأنواع الثلاثة وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً كما وضحته الآية الكريمة، وسأتحدث عن هذه الأنواع الثلاثة بالتفصيل.

النوع الأول : **وهو الكلام وحياً**

ففي قوله تعالى "وحياً " يراد به أن يصل وحي الله إلى البشر من غير واسطة ومن غير سماع لعين كلام الله، ويشمل هذا النوع غير الأنبياء لعموم

٢٩٨ - رسالة التوحيد ص٨٥.

٢٩٩ - سورة الشورى آية ٥١.



قوله تعالى " **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ** " فيدخل فيه ما كان لأم موسى وغيرها.

وهذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الإلهام : مثال ذلك ما أوحاه الله إلى أم موسى كما في قوله تعالى " **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ...**" (٣٠٠).

القذف في القلب في حال اليقظة : مثلما حدث لداود– عليه السلام– فقد روى أن " أوحي الله تعالى الزبور إلى داوود في صدره " (٣٠١).

وكما حدث أيضاً لسيدنا محمد(ﷺ) فقد قال " أن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على إن تطلبوه بمعصية الله فان ما عند الله لا ينال إلا بطاعته"(٣٠٢).

الرؤيا الصادقة : والرؤيا الصادقة كانت أول ما بدئ به الوحي على نبينا محمد (ﷺ) فقد روى في البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت " أول ما بدىء به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح " (٣٠٣).

وقد حصل هذا النوع من الوحي ، أي بواسطة الرؤيا المنامية لسيدنا إبراهيم – عليه السلام –، إذا رأي في منامه أنه يذبح ولده إسماعيل – عليه السلام – وقد قص الله – تعالى – علينا ذلك في محكم آياته فقال ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ

٣٠٠ - سورة القصص آية ٧.

٣٠١ - انظر تفسير الفخر الرازي جزء١٠ ص١٨٧.

٣٠٢ - حديث صحيح رواه أبو أمامة الباهلي صحيح الجامع للألباني ص٢٠٨٥ انظرتفسير الفخر الرازي جزء١٠ص١٨٧.

٣٠٣ - صحيح البخاري باب أول ما بدئ به الرسول من الوحي الرؤيا الصادقة حديث رقم ٦٦١٧، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي على رسول الله (ﷺ).

ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (٣٠٤).

فاعتبر اسماعيل -عليه السلام- رؤيا أبيه وحيا بمثابة أمر صادر له من الله واجب التنفييذ فلم يقل يا أبت أفعل ما رأيت في منامك ولكن أفعل ما تؤمر فرؤياك أمر أي وحي.

وقد فرق ابن القيم بين رؤيا الأنبياء ورؤيا غيرهم فقال رؤيا الأنبياء وحي ، فإنها معصومة من الشيطان ، وهذا با تفاق الأمة ، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه اسماعيل _ عليهما السلام – بالرؤيا، وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها " (٣٠٥).

النوع الثاني : **الكلام من وراء حجاب**

وهو المراد بقوله تعالى " **أو من وراء حجاب**" وهو أن يصل وحي الله إلى النبي من غير واسطة فيسمع النبي عين كلام الله دون أن يراه.

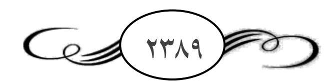
وقد حصل هذا النوع من الوحي لموسى -عليه السلام- عند المناجاة حيث قال تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ (٣٠٦).

---

٣٠٤ - سورة الصافات الآيات ١٠٢:١٠٧.

٣٠٥ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ج١ ص٦٢ الناشر دار الكتب العلمية بيروت .

٣٠٦ - سورة طه الآيات ١١:١٤.



وقال الله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [٣٠٧].

وقد حصل هذا النوع أيضا لسيدنا محمد (ﷺ) ليلة المعراج قال تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ [٣٠٨].

وإدراك الأنبياء لكلام الله –تعالى– ليس مستحيلاً ، وذلك لأن الأنبياء قد اختصهم الله –تعالى– بصفات لا توجد في غيرهم ، والله– تعالى– قادر على أن يخلق في بعض عباده استعداداً خاصاً لفهم ما يلقيه إليهم من كلام.

النوع الثالث : **الايحاء بواسطة الملك**

وهذا النوع هو المراد في قوله تعالى " **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا** " وذلك بأن يأتي الملك فيكلم النبي، ويبلغه ما أمر الله –تعالى– بتبليغه وهذا النوع من الوحي هو الغالب في الإيحاء. وقد أوحي الله –تعالى– القرآن إلى نبينا محمد (ﷺ) بهذه الطريقة إذ كان جبريل –عليه السلام– ينزل على النبي (ﷺ) بآيات القرآن الكريم قال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾[٣٠٩].

والتعليم بواسطة الملك يكون له أحوال ثلاثة [٣١٠]:

أ– أن يرى النبي الملك على صورته الأصلية ويتعلم ما جاء به إليه كما حدث لرسول الله (ﷺ) في أول لقاء له بجبريل – عليه السلام – في غار حراء حين قال له إقرأ ... وهذا قليل جداً.

٣٠٧ - سورة النساء آية ١٦٤.

٣٠٨ - سورة النجم الآيات من ٨:١٢.

٣٠٩ - سورة الشعراء الآيات من ١٩٣:١٩٥.

٣١٠ - انظر أصول الدين للبغدادي ص١٥٦.



وقد روى عن **عائشة رضى الله عنها** أنها سئلت عن قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ ﴾وقوله ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ ﴾ ولقد رآه نزلة أخرى " فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله (ﷺ) فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته ، التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأتيه منهبطاً من السماء ، سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض [٣١١].

ب- أن يراه في صورة بشر كما رؤى جبريل في صورة دحية الكلبى وكان جميلاً وسيماً وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة.

ج- أن لا يرى الملك عند الوحي لا في صورته الأصلية ولا في صورة البشر وإنما يسمع عند قدومه صوتاً كصوت الجرس خفيفاً أو شديداً فيتعلم منه وهو موقن أن ما ألقى إليه من عند الله تعالى.

وقد بين الرسول (ﷺ) هاتين الحالتين الأخيرتين حين سأله سائل فقال يارسول الله : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال (ﷺ) " أحيانا يأتينى مثل صلىصلىة الجرس . وهو أشده على ، فيفصم عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى فأعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وأن جبينه ليتفصد عرقا " [٣١٢].

٣١١ - صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي على رسول الله (ﷺ).

٣١٢ - صحيح البخاري باب بدء الوحي.



المبحث الثاني

آراء العلماء حول إمكان الوحي ووقوعه

أولًا : **رأي جمهور المتكلمين** :

يقرر علماء الكلام أن الوحي في حد ذاته أمر ممكن عقلًا ولا شك أن هناك فرقًا بين إمكان الوحي ووقوعه فالإمكان معناه أن الوحي في حد ذاته أمر ممكن غير مستحيل، والعقل لا يجد ما يمنع من اصطفاء الله –تعالى– لبعض عباده ويقوى أرواحهم لتلقى الوحي ، أما الوقوع فهو الحصول والوجود بالفعل ودليل وقوع الوحي مختلف بالنسبة لمعاصري النبي ومن لم يعاصره فالذين عاصروا النبي (ﷺ) دليلهم المعجزات التي شاهدوها على يدي النبي (ﷺ) فهي شاهد صدق على أنه موحي إليه.

وأما من أتى بعد عصر النبي (ﷺ) فدليل وقوع الوحي بالنسبة له الخبر المتواتر وإخبار الصادق المصدوق فلا زال القرآن الكريم معجزة رسول الله محمد (ﷺ) قائماً وشاهد صدق على وقوع الوحي حتى يوم الناس هذا و إلى يوم القيامة.

وأما أن الوحي في حد ذاته أمر ممكن فلأنه يتوقف على أمرين ممكنين وهما:

- الأمر الأول : استعداد نفس النبي لتلقى الوحي.
- الأمر الثاني : وجود ملائكة يبلغون عن الله –تعالى– ما أمروا بتبليغه إلى من يصطفيهم الله– تعالى– من الأنبياء والرسل من البشر.

أما عن الأمر الأول : وهو استعداد نفس النبي لتلقى الوحي فلا مانع منه بعد أن علمنا أن مراتب الإدراك في البشر متفاوتة ، وأعلاها مرتبة هي مرتبة الإدراك لدى الأنبياء لأنهم صفوة خلق الله– تبارك وتعالى– من هنا فقد صفت نفوسهم بأصل فطرتها وأصبحت مستعدة لأن يفاض عليها من المعارف والعلوم



التي لم يختص بمعرفتها البشر العادي والتي يتلقونها- صلوات الله وسلامه عليهم- عن طريق الوحي(٣١٣).

ويقول في ذلك الشيخ **محمد عبده:** " أنه ليس هناك مانع منه عقلاً ، بل هو أمر ممكن ، وذلك لأنه من الأمور البديهية ، التي لا ينازع فيها ، أن درجات العقول متفاوتة ، وليس هذا لتفاوت المراتب في التعليم فقط ، وانما أيضا لتفاوت الفطرة ، التي لا مدخل فيها لإختيار الإنسان وكسبه ، ولا شك في أن من النظريات عند بعض العقلاء ، ما هو بديهي عند من هو أرقى منه فكراً وإذا كان الأمر كذلك ، فليس هناك ما يمنع من أن توجد نفس من النفوس البشرية ، يكون لها من نقاء الجوهر ، بأصل الفطرة ، ما تستعد به بمحض الفيض الإلهي بأن تتصل بالأفق الأعلى ، وتشهد من أمر الله -تعالى- شهود العيان ،وتتلقى من المعارف والعلوم عن العليم الحكيم ، ما يعلو وضوحا ، عما يعرفه الواحد منا ، بطريق الفكر والنظر ، وذلك الطريق العادي الذي هو عام للبشر" (٣١٤).

وأما الثاني : وهو وجود ملائكة تبلغ الوحي فهو أمر ممكن ولا استحالة فيه ، بعد ما عرفنا من أنفسنا ، وأرشدنا إليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ما هو ألطف من المادة ، وإن كان غيباً لم نحسه وإذن فليس هناك استحالة من أن يكون لبعض هذه الموجدات استعداداً لتلقى شيء من العلم الإلهي ، ويكون لها اتصال بالأنبياء وتبلغهم وحي الله " تعالى ".

وإذا كان هذا أمراً ممكنا بحسب ذاته ، وقد جاء به الخبر الصادق فإنه يجب الإذعان له ، والتصديق بصحته.

والدليل القطعي على وجود الملائكة هو القرآن الكريم والسنة النبوية

---

٣١٣ - انظر القول السديد في علم التوحيد محمود أبو دقيقة ص١٦٦.

٣١٤ - رسالة التوحيد ص٨٦.٨٧.



المطهرة.

ودليل ذلك من القرآن الكريم قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣١٥).

وقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٣١٦).

فهذا يدل على وجود الملائكة وجواز اصطفاء أحدهم لتبليغ أوامر الله إلى الرسول.

وقال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (٣١٧).

والدليل من السنة النبوية : حديث **عائشه – رضي الله عنها** – أن الحارث بن هشام – رضي الله عنه – سأل رسول الله كيف يأتيك الوحي ، فقال رسول الله (ﷺ) أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعي ما يقول (٣١٨).

إذن فنزول الوحي على الأنبياء أمر ممكن والنبي له طرفان بشرية ورسالة ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (٣١٩) فبطرف يقبل الوحي ، وبطرف يؤدى الرسالة (٣٢٠).

كما أن تحقق الوحي بالفعل هو أكبر دليل على إمكانه، فالمحال لا يمكن

٣١٥ - سورة البقرة آية ٣٠.
٣١٦ - سورة الحج آية ٧٥.
٣١٧ - سورة الشعراء الآيات ١٩٣،١٩٤.
٣١٨ - صحيح البخاري باب بدء الوحي.
٣١٩ - سورة الإسراء آية ٩٣.
٣٢٠ - نهاية الإقدام الشهرستاني ص٤٦٥.



وقوعه، والشيء إذا ثبت له التحقق الفعلي فهو بالأحرى يثبت له إمكان الوقوع، وقد استند صاحب المواقف على حصول نبوة محمد (ﷺ) للاستدلال على إمكان البعثة مطلقًا، حيث يقول : " حجتنا فيه – أي إمكان البعثة – إثبات نبوة محمد (ﷺ) فإن الدال على الوقوع دال على الإمكان بلا اشتباه " [٣٢١].

ولم يكن محمد بدعًا من الرسل، ولا أول نبي يخاطب الناس باسم الوحي ويحدثهم حديث السماء، فمن لدن نوح تتابع أفراد مصطفون أخيار ينطقون عن الله ولا ينطقون عن الهوى، ولم يكن الوحي الذي أيدهم به الله مخالفًا الوحي الذي أيد به محمدًا، بل كانت ظاهرة الوحي متماثلة عند الجميع، لأن مصدرها واحد وغايتها واحدة [٣٢٢] كما قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [٣٢٣].

ويقول الدكتور **حسن الشافعي** : " ربما كان أعظم أدلة الجواز هو ثبوت الوحي والتنبؤ كظاهرة تاريخية قد لا يقوى على إنكارها من لا يؤمن بنبي معين أو بأي نبي على الإطلاق، فلا شك أن الوقوع هو أقوى دلائل الجواز " [٣٢٤].

ثانيًا: **رأي فلاسفة الإسلام** :

في الواقع أن إنكار النبوة والوحي من أخطر المشكلات التي واجهت الفلسفة الإسلامية، لذلك حاول فلاسفة الإسلام أن يجدوا حلًا لهذه المشكلة وكان الفارابي رائدًا في هذا المضمار فهو أول من أقام نظرية في النبوة، وقد أيقن الفارابي أن مشكلة النبوة تنحصر في الوحي فإذا أمكن تفسير الوحي تفسيرًا

٣٢١ - شرح المواقف السيد الشريف الجرجاني الجزء الثامن ص٢٥٤ طبعة عام ١٩٩٨م الناشر دار الكتب العلمية.

٣٢٢ - جامع البيان في تأويل آي القرآن أبو جعفر محمد بن جرير الطبري جزء٦ ص٢٠ الناشر دار المعارف القاهرة ١٣٧٤هـ.

٣٢٣ - سورة النساء من آية١٦٣.

٣٢٤ - الآمدي وآراؤه الكلامية د/ حسن الشافعي ص٤٨٣ الناشر دار السلام طبعة عام ١٩٨٨م.



علميًا ،وإثباته بالبراهين العقلية أمكن إقامة صرح الدين على أساس متين، لذلك أقام نظريته في النبوة مبيناً إمكان الوحي وتفسير فيض العلم الإلهي على النبي، ومن ثم الكيفية التي يتصل بها النبي لتلقي الوحي ، اعتقادًا منه أن ذلك قد يكون أبلغ في تثبيت النبوة في نظر المنكرين لها ، وحتى تكون حجة في وجه المنكرين في كل زمان ومكان.

يعرف **الفارابي** الوحي بأنه " اتصال النفوس الناطقة بعقول الأفلاك ونفوسها اتصالًا معنويًا يمكنها من الإطلاع في يقظة أو منام على ما يتضمنه من صور الحوادث، التي ترتسم في النفس البشرية كما يحدث إذا حاذت مرآة مرآة أخرى فيها نقوش تنعكس إلى الأولى فيفيض عليها هذا الغيب المحجب " [٣٢٥].

فالوحي هو اتصال الإنسان بالملائكة، والملائكة عقول ينقش فيها ما في اللوح المحفوظ وما لدى الملائكة من علم ينطبع في نفس الإنسان، وتكون نفس الإنسان في هذه الحالة بمثابة المرآة ينعكس عليها كل ما عند الملأ الأعلى أو ما في نفوس الملائكة، فيكون ذلك الشخص بما يفيض من العقل الفعال إلى عقله المنفعل فيلسوفا، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبيًا [٣٢٦].

ونلاحظ أن **الفارابي** يجعل الأساس الذي تقوم عليه معرفة الفلاسفة نفس الأساس الذي تقوم عليه معرفة الأنبياء، وإن كان خص الأنبياء بمخيلة قوية إلا أن كلا من الفيلسوف والنبي يحظى بالاتصال بالعقل الفعال ، الذي هو مصدر الشرائع والقوانين الضرورية لنظام المجتمع، وبهذا يتبين لنا كيف يكون الوحي عند الفارابي، فمصدر الوحي هو مصدر المعرفة للإنسان، وأعلى درجة المعرفة الإنسانية هي التي تأتي عن طريق الاتصال بالعقل الفعال سواء كانت بالمخيلة

٣٢٥ - فصوص الحكم أبو النصر الفارابي ص١٤٥ طبعة عام ١٩٧٦م، بين الدين والفلسفة د.محمد يوسف موسى ص٥٧ دار المعارف بمصر١٩٦٨م.

٣٢٦ - نظرية المعرفة الإشراقية وأثرها في النظرة إلى النبوة د. إبراهيم هلال ج١ ص٤٠، فصوص الحكم ص١٠.



الممتازة، أو بالعقل الإنساني الذي وصل إلى كماله.

ويعرف **ابن سينا** الوحي بأنه : " الإلقاء الخفي من الأمر العقلي بإذن الله –تعالى– في البشرية المستعدة لقبول هذا الإلقاء، إما في حالة اليقظة ويسمى وحيًا، وإما في حالة النوم ويسمى النفث في الروح " [٣٢٧].

فابن سينا يرى أن نفس النبي قد صفت بحيث تستطيع تقبل ما يرد إليها من تعليمات ربانية، وابن سينا ومن قبله الفارابي يتفقان على ثلاثة شروط يجب توافرها في النفس النبوية تعدها لاستقبال الوحي وهي :

أ- تتمتع نفس النبي بقوة قدسية تجعلها صالحة للاتصال بالعقل الفعال، وتقبل ما يفيض منه، من غير تعلم ولا سبق تفكير ونظر.

ب- أن تتصف بقوة المخيلة التي تعينها على تصوير الأمور العقلية المجردة بالأمثلة المحسوسة، وسوقها للبشر بألفاظ مفهومة ومقبولة لديهم.

ت- أن تختص نفس النبي بقوى نفسانية خارقة، يستطيع بها أن يأتي بالمعجزات، ويفعل الخوارق، ويخرق العادات وغيرها من الأمور التي تحمل البشر على الإيمان به وتصديقه [٣٢٨].

وعلى هذا فإن النبوة في رأي الفلاسفة ليست اصطفاء أو منحة من الله – تعالى– كما هو رأي جمهور المتكلمين، وإنما هي مكتسبة يستطيع من صفت نفسه وتوافرت فيه الشروط السابقة أن يصل إلى استحقاقها.

فهي كما يقول **الفارابي** " عبارة عن فيض من الله بواسطة العقل الفعال على القوة العاقلة أولًا ثم على القوة المتخيلة ثانيًا، وهي أعلى درجة وأكمل رتبة يستطيع أن يصل إليها الإنسان، وليس هناك ما يمنع الإنسان أن يبلغ غاية الكمال

---

٣٢٧ - النجاة لابن سينا تحقيق محمد عثمان ص٢٠٦ الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

٣٢٨ - المرجع السابق ص٢٠٨.



وذلك بأن يحصل له أولًا العقل المنفعل ثم ترتقي نفسه إلى العقل المستفاد الذي يكون به الاتصال بالعقل الفعال، وحينئذ يأخذ عنه بطريق الفيض الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها فيكون له بذلك نبوة بالأشياء الإلهية(٣٢٩).

ويعلق **صاحب الفلسفة الإسلامية** منهج وتطبيقه على رأي الفارابي قائلًا " وإذ كان في مقدور النبي أن يتصل بالعقل الفعال بواسطة النظر والتأمل، فإن النبوة تصبح ضربا من المعرفة يصل إليها الناس على السواء .. ونحن لا ننكر أن موازنة الفارابي بين النبي والفيلسوف تدع باب النبوة مفتوحا للجميع، كما أن الفلسفة ليست مقصورة على طائفة دون أخرى " (٣٣٠) ولكن الفارابي قد قصد أن اصطفاء مخيلة النبي إنما هو منحة من الله لا اكتساب، وهو أمر لا يصل إليه الكثيرون، فتكون الرسالة بناء على ذلك هبة من الله.

يقول الدكتور **إبراهيم مدكور** " إن الفلسفة في رأيه ليست سهلة المنال بالدرجة التي تبدو لأول وهلة، فلكل أن يتفلسف ولن يحظى بالفلسفة الحقة إلا أفراد قليلون، وفوق هذا فالفارابي يقرر أن النبي ينعم بمخيلة ممتازة، أو قوة قدسية خاصة، ويغلب على الظن أن هذه القوة القدسية، وتلك المخيلة، فطريتان في رأيه لا مكتسبتان، وإن كان لم يصرح بذلك " (٣٣١).

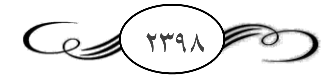
وهذا خلافًا لفيلسوف العرب **الكندي** الذي يفرق بين العلوم الفلسفية

---

٣٢٩ - آراء أهل المدينة الفاضلة أبو النصر الفارابي ص٧٦ مكتبة صبيح، وانظر بين الدين والفلسفة د. محمد يوسف موسى ص٥٧ وانظر الشفاء في الإلهيات ابن سينا ص٤٠٢ تحقيق د. محمد يوسف موسى د. سليمان دبنا طبعة عام ١٩٦٠م المطابع الأميرية القاهرة.

٣٣٠ - د/ إبراهيم مدكور الجزء الأول ص٩٧.

٣٣١ - في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د/ إبراهيم مدكور ص٩٨ الجزء الأول الناشر مكتبة الدراسات الفلسفية.



والمعارف التي تأتي عن طريق الوحي فيقول : " إن علوم الفلاسفة والعلوم البشرية العادية إنما تأتي ثمرة لتكلف البحث والحيلة والقصد إلى المعرفة، والاعتداد بالرياضات والمنطق في زمان طويل طبقًا للمنهج العلمي والفلسفي، أما علوم الأنبياء وهي تشمل ما تشمله علوم الفلاسفة من حقائق ظاهرة وخفية، فهي غير محتاجة إلى شيء مما تقدم، لأنها تكون من طريق فعل إلهي في نفوس الأنبياء، وهذا الفعل يطهرها وينيرها ويهيئها للعلوم الإلهية بإرادة الله (٣٣٢).

إذن إمكان الوحي جائز عقلًا فإن العقول السليمة لا تجد مانعًا من أن الله يصطفي أفرادًا ويقوي أرواحهم ويطهر نفوسهم ويعدهم لتلقي الوحي، وقد أجمعت الشرائع على وقوع الوحي من الله – تعالى – وجعله واسطة بينه وبين عباده، فمن ينكر الوحي ولا يسلم بوقوعه يهدم الدين في أساسه ويطعنه في دعامته الأولى وعماده المتين " (٣٣٣).

٣٣٢ - رسائل الكندي الفلسفية محمد عبد الهادي أبو ريدة ص٥٥ طبعة عام ١٩٥٠م الناشر دار الفكر العربي، وانظر أيضًا التفكير الفلسفي في الإسلام دكتور عبد الحليم محمود ص٣٦٢ الطبعة الثانية دار المعارف.

٣٣٣ - رسالة التوحيد الإمام محمد عبده ص٩٠.



المبحث الثالث
الأدلة العلمية الحديثة على إمكان الوحي

لقد بينا في المبحث السابق الأدلة على إمكان الوحي ووقوعه عقلاً سواء عند المتكلمين أم فلاسفة الإسلام، وفي هذا المبحث نسوق بعض من الأدلة العلمية الحديثة التي تؤكد إمكان الوحي علميًا معتمدين على العلم الحديث والتجربة والواقع للرد على أركون ومن سار على نهجه في إنكار الوحي وتعاظم وقوعه.

لقد أثبت العلم التجريبي الذي لا يدين أركون – ومن نحا نحوه – إلا له ببراهين الحس والمشاهدة أن اتصال ملك بإنسان، وسماع الإنسان للصوت الخفي الصادر عن الملك، ورؤية النبي للملك حيث لا يراه أحد من المحيطين به من الأمور الممكنة علميًا لما يلي :

١- لقد ابتكرت أجهزة علمية، وصلت من الدقة إلى حد تسجل صدام الأشعة الكونية في الفضاء.

٢- لقد اخترعت سماعات، تمكننا من سماع ما لا يمكن سماعه بالطرق التقليدية، أو السماعات العادية.

٣- إن الطاقة الاستماعية غير العادية، ليست قاصرة على الأجهزة أو الالآت العلمية الحديثة، بل لقد وهب الله – عز وجل – بعض الكائنات الحية طاقة استماع خارقة فمثلًا حشرة " العتة " تنادي زوجها من مسافة بعيدة بصوت لا تسمعه، وهي موضوعة على كفك، بجوار أذنك، بينما يسمعها زوجها فيحضر إليها طائرًا، لأن العتة من الحشرات ذوي الأجنحة وحشرة الجندب، يحك الذكر رجليه، ويصدر بطريقة غير عادية، فتسمعه زوجته وترسل إليه الجواب بطريقة لا نعرفها، فيلحق بها الجندب الذكر حيث كانت ، وأبو النطيط يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر ذرة

الهيدروجين، وغير ذلك من أمور ذكرها العلم الحديث، تقرب فكرة الوحي لمن أراد أن يتعظ (٣٣٤).

ولقد أورد العلامة الشيخ **محمد عبد العظيم الزرقاني** في كتابه " مناهل العرفان " (٣٣٥) دلائل علمية كثيرة على إمكان الوحي علميًا، وفيما يلي اقتبس منه خلاصتها بعبارة موجزة للرد على أولئك الذين لا يؤمنون إلا بالمشاهد المحسوس وينكرون الروحانيات، وما وراء المادة ويشككون في الوحي واتصاله بالرسول :

الدليل الأول : أن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده وننتفع به، مما يسمونه التليفون، واللاسلكي، والميكرفون، والراديو، وعن طريق أولئك أمكن الإنسان أن يخاطب من كان في آفاق بعيدة عنه وأن يفهمه ما شاء ويرشده إلى ما أراد، فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله القادر عن أن يوحي إلى بعض ما شاء عن طريق الملك أو غير الملك ؟ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا (٣٣٦).

الدليل الثاني : استطاع العلم أيضًا أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد الجاهل، بأصوات وأنغام، وبقرآن وأغان وكلام، على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان، وبين أيدينا من ذلك شيء كثير لا سبيل إلى إنكاره يسمونه " بالفونغراف".

أبعد هذه المخترعات القائمة، يستبعد على القادر – تعالى – بواسطة ملك ومن غير واسطة ملك، أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده، بكلام مقدس يهدي به خلقه، ويظهر به حقه، على وجه يجعل ذلك الكلام منتقشًا

٣٣٤ - انظر الإسلام يتحدى وحيد الدين خان ص١٥٠. وما بعدها طبعة عام ١٩٧٧م وانظر الحج البينات في إثبات النبوات د/ محمد عبد الصبور هلال ص٦٣، ٦٤ طبعة عام ١٩٩٦م.

٣٣٥ - مناهل العرفان في علوم القرآن ص٥٩ الطبعة الثالثة ١٣٧٢هـ الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

٣٣٦ - المرجع السابق ص٦٢.



في قلب رسوله، حتى يحكيه بدقة وإتقان كذلك ؟ [٣٣٧].

الدليل الثالث : التنويم المغناطيسي، وهو من التجارب العلمية التي يتضح معها بما لا يدع مجالًا للشك إمكان الوحي، لأنه إذا كان لبعض البشر قوة التأثير في البعض الآخر فكيف بقوة الملك ؟ يقول الشيخ الزرقاني : [٣٣٨] " التنويم المغناطيسي، وهو من المقررات العلمية الثابتة كشفه الدكتور " مسمر " الألماني في القرن الثامن عشر وجاهد هو وأتباعه مدى قرن كامل من الزمان في سبيل إثباته، وحمل العلماء على الاعتراف به وقد نجحوا في ذلك، فاعترف العلماء به علميًا، بعد أن اختبروا به الآلآف المؤلفة من الخلق واطمأنوا إلى تجاربه وأخيرًا أثبتوا بواسطته ما يأتي :

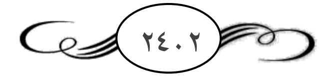
١- أن للإنسان عقلًا باطنًا أرقى من عقله المعتاد كثيرًا.
٢- أنه وهو في حالة التنويم يرى ويسمع من بعد شاسع، ويقرأ من وراء حجب، ويخبر عما سيحدث، مما لا يوجد في عالم الحس أقل علامة لحدوثه.
٣- أنه قد يصل إلى درجة تخرج فيها روح الوسيط من جسده، وتمثل إلى جانبه غير مرئية، بينما يكون الجسم في حالة تشبه الموت لولا علاقة خفية بين الروح والجسم.
٤- أثبتوا من وراء ذلك أن هناك روحًا وأنها مستقلة عن الجسم كل الاستقلال وأنها لا تنحل بإنحلاله.
٥- أنها تتصل بالأرواح التي سبقتها إذا تجردت عن المادة، إلى غير ذلك مما لا نسلم جميع تفاصيله تقليدًا، وإن كنا نسلم هذا العلم وتجاربه ".

ثم يستطرد الشيخ **الزرقاني** بعد أن شاهد تجربة للتنويم المغناطيسي قائلًا :

---

٣٣٧ - المرجع السابق ص٦٢، ٦٣.

٣٣٨ - المرجع السابق ص٥٩.



" لقد ثبت لي عن طريق علمي ما قرب إلي الوحي عمليًا وما جعلني أعلله تعليلًا علميًا : فالوحي " عن طريق الملك " عبارة عن اتصال الملك بالرسول اتصالًا لا يؤثر به الأول في الثاني، ويتأثر فيه الثاني بالأول، وذلك باستعداد خاص في كليهما، فالأول فيه قوة الإلقاء والتأثير، لأنه روحاني محض، والثاني فيه قابلية التلقي عن هذا الملك لصفاء روحانيته، وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك، وعند تسلط الملك على الرسول ينسلخ الرسول عن حالته العادية، ويظهر أثر التغير عليه، ويستغرق في الأخذ والتلقي عن الملك، وينطبع ما تلقاه في نفسه، حتى إذا انجلى عنه الوحي وعاد إلى حالته الأولى، وجد ما تلقاه ماثلا في نفسه، حاضرًا في قلبه، كأنما كتب في صحيفة فؤاده كتابًا.

أتظن – أيها القارئ الكريم – أن المخلوق يستطيع أن يؤثر في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير بواسطة التنويم المغناطيسي، ثم لا يستطيع ملك القوى والقدر أن يؤثر في نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي ؟ كلا ثم كلا إنه على ما يشاء قدير [٣٣٩].

الدليل الرابع : أننا نشاهد بعض الحيوانات الدنيا تأتي بعجائب الأنظمة والأعمال مما نحيل معه أن يكون ذلك صادرًا عن تفكير لها، أو غريزة ساذجة فيها، ومما يجعلنا نوقن بأنها لم تصدر في ذلك إلا عن إرادة عليا، توحي إليها وتلهمها تلك العجائب والغرائب من الصناعات والأعمال والدقة والاحتيال، وإذا صح هذا في عالم الحيوان، فهو أولى أن يصح في عالم الإنسان، حيث استعداده للاتصال بالأفق الأعلى يكون أقوى، وأخذه عنه يكون أتم، ومن ذلك ما يكون بطريق الوحي، وإن شئت أمثلة لتلك الحيوانات التي ضربناها لك مثلًا في إلهاماته العلوية، فدونك النمل والنحل، وما تأتيان من ضروب الأعمال، ودقة

---

٣٣٩ - المرجع السابق ص٦١،٦٢.



النظام، ومن العبث وضلال الرأي أن يثبت الباحث الطبيعي إلهامًا تبعثه القدرة الإلهية إلى أحقر الحشرات، ثم ينفيه عن النوع البشري وهو أشد ما يكون حاجة إلى هذا الوحي والإلهام في حياته الفردية والاجتماعية (٣٤٠).

الدليل الخامس : قرر العلم الحديث أنه شوهد على بعض الناس أنهم يظهرون بمظاهر روحانية، تعتبر من الخوارق، لا أثر فيها للمهارة وخفة اليد، وإنما هي أحداث روحانية، تلك حقيقه من حقائق العلم الحديث الحاضر، يقررون فيها أنه قد يفتح على بعض الناس في حالة من حالات ذهولهم بانكشافات وظواهر روحية، فكيف يستبعد بجانب هذا الكشف العلمي أن يفتح الله على بعض الممتازين من خلقه بانكشافات علمية عن طريق الوحي، بينما هم من كملة العقول والأخلاق لقد أسفر الصبح لذي عينين !! (٣٤١).

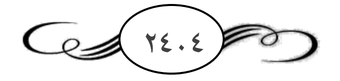
هذه هي أدلة الوحي العلمية وهي في الواقع أدلة لإمكان الوحي وتقريبه إلى العقول سقناها للرد على أعداء الوحي ومنكريه الذين لا يؤمنون إلا بالعقل على الطريقة التي يستسيغونها، وبالعلم الذي تواضعوا عليه في اصطلاحهم الحديث، أمثال أركون وغيره من المنبهرين بالغرب الذين جندهم الاستشراق والاستعمار لخدمة أهدافه في بلاد الإسلام فذهبوا يخربوا عقول المسلمين باسم العلم والمدنية والعلم منهم براء فنادوا بإلغاء الوحي والثوابت الدينية وتحويل الإلهيات إلى إنسانيات وصدق الله العظيم إذ يقول :﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾ (٣٤٢).

---

٣٤٠ - المرجع السابق ص٦٣، ٦٤.

٣٤١ - المرجع السابق ص٦٥، ٦٦.

٣٤٢ - سورة الكهف آية٥.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعنده مفاتح غيب الأرض والسموات التي لا يعلمها إلا هو وبعد ..

فقد تناولت في هذا البحث " النبوة في الفكر الحداثي محمد أركون أنموذجا دراسة نقدية تحليلية" وانتهيت فيه إلى عدة نتائج وبعض التوصيات وإليك النتائج:

- إن مصطلح الفكر الحداثي من المصطلحات التي طرأت على الساحة الفكرية المعاصرة، وهو يعتمد أساسًا في مرجعيته الفكرية على الحداثة الغربية ذي الصبغة المادية الإلحادية ، حاول أركون إدخالها إلى العالم الإسلامي ولم يراع الواقع الذي أنشأها فهو يختلف تمام الاختلاف عن الواقع الإسلامي مما أدى إلى فشل تلك الحداثة.
- حاول أركون أنسنة الدين، وتفريغه من محتواه، وذلك بإلغاء ثوابته ومطلقاته ومقدساته، من الله إلى النبوة إلى الرسالة إلى الوحي إلى الغيب، إلغاء كل ذلك بإعطائها مضامين ومفاهيم إنسانية أرضية، أي إلغاء الغيب كمصدر للمعرفة، وقصرها على عالم الشهادة، وقصر سبل هذه المعرفة على العقل والتجريب وحدهما، وتأويل وتفسير كل ما له علاقة بالدين والغيب والألوهية والنبوة والرسالة والوحي على النحو الذي يؤنسنه ويجعله إفرازًا بشريًا.
- كان أركون من أبرز الفلاسفة الحداثيين جرأة على كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) حيث قام في مشروعه الإسلاميات التطبيقية بطرح مشكلة الوحي بشكل تاريخي، فقام بأشكلته وذلك من خلال نزع صفة القداسة والتعالي عن الوحي والعمل على أنسنته أي نقله من محور المتكلم " الله " إلى محور المتلقي " الإنسان " أي من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، زاعمًا أن الوحي الذي نزل على محمد (ﷺ) تأثر بكثير من المؤثرات التي أفقدته قدسيته وألوهيته، وأن مجرد نطق الرسول (ﷺ) بآيات القرآن الكريم أخرجه

من نص إلهي إلى كلام بشري، وتحويل الإلهيات إلى إنسانيات أي مقاربة الوحي أو القرآن الكريم مقاربة تجعله لا يختلف عن غيره من النصوص الأخرى، فهاجس أركون كما يقول على حرب هو خرق الممنوعات وانتهاك المحرمات.

- حاول أركون تطبيق كل المنهجيات الغربية الحديثة على آيات القرآن الكريم كالمنهجية التاريخية والألسنية والسيميائية وغيرها من مناهج مستحدثة باطلة لا يصح أن تطبق على كتاب الله "عز وجل".
- عدم تعظيم أركون للنبي محمد (ﷺ) فقد ذكر اسمه مرات عديدة دون أن يصلي عليه، مما ينم عن اعتقاده بأنه ليس رسولًا ولا نبي.
- خضع أركون النص القرآني لآلته التفكيكية معتبرًا أنه نص كأي نص عرضة للنقد والتفكيك، يطبق عليه ما يطبق على النصوص الأدبية ، والتي منها موت النص ثم موت المؤلف والقرآن الكريم منزه عن هذا.
- لقد دعا أركون إلى تشكيل " لاهوت حديث " عن الإسلام أي لاهوت ليبرالي، على غرار ما حدث في المسيحية واليهودية، زاعمًا أن الإسلام كالنصرانية يحجر على الفكر ويحارب العلم والعلماء محاولًا هدم الإسلام كما هدمت أسس الإيمان في المسيحية ، ونسى أن ما ينسحب على دين لا يجرى على الآخر، وأن الإسلام غير المسيحية لا يحارب العلماء ولا يحجر على الفكر.
- رغم تميز القرآن عن التوراة والإنجيل بحفظ الله –تعالى– له إلا أن أركون يسوي بين المحفوظ والمحرف ويطلق أحكامًا فيما يخص الكل ليصل إلى ما يهدف له من نزع القداسة عنه.
- تطابق الكثير من الأهداف الاستشراقية مع الأهداف الأركونية من التشكيك



في الوحي قرآنًا وسنة والقول ببشريته وادعاء تاريخية الإسلام، وإرجاع الوحي في الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية ،إلى غير ذلك من المطاعن في كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

- قام أركون بوصف القرآن الكريم بأوصاف تخرجه من قدسيته وألوهيته فبدَّل المصطلحات الدينية المتعارف عليها بمصطلحات جديدة، فبدل " القرآن " يستعمل مصطلح " الظاهرة القرآنية " وبدل " الخطاب الإلهي " يذكر " الخطاب النبوي " وبدل " المصحف " يستعمل مصطلح " المدونة الرسمية " وغير ذلك من مصطلحات مبتدعة لم ينص عليها القرآن أو السنة، أو حتى سلف الأمة.
- إن الأسس التي أقام عليها أركون فكره هي من أول وهلة تحكم بانهيار هذا الفكر الذي ينظر إلى الدين على أنه من قبيل الخيال والوهم والأسطورة وما هو إلا مخزون العقل البشري الوهمي وليس شريعة ربانية، أن ما يقوله لهو نقض للدين من أساسه وجذوره ، مناقض للمقصود من إنزال الشرائع لا يقول به عاقل.

أما التوصيات فهي :

- يجب على المسلمين في الوقت الحاضر كشف ما يحيكه أعداء الإسلام لهم، وذلك بطريقين أولهما : نشر الإسلام بالصورة الصحيحة له، وما يحمله من تشريع تستقيم معه حياة المسلمين جميعًا، ثانيهما : الدعوة إلى التمسك بشرع الله – عز وجل – وأن الشرع الإسلامي فيه جميع الحلول لمشكلات مختلف العصور.
- في عصر المعلومات والفضائيات، لابد وأن يواكب عملنا قوة إعلامية عملاقة، تساعد في عرض الصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين بلغات شتى.
- تثقيف الشباب المسلم وتنبيهه بقضايا عصره حتى لا يقع تحت تأثير أدعياء

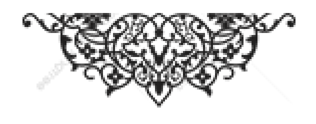
التحضر والمدنية والعلمانية.

- إنشاء مراكز الأبحاث والدراسات المعنيَّة برصد الانحرافات الفكرية، والتعقيب عليها بتفنيد الشُّبه، والجواب عن الشكوك والشبهات التي يثيرها بعض المارقين من قيم الإسلام ومبادئه، والجهاد الفكري ضدها، من منطلق قوله تعالى : " وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا " وتفعيل هذه المراكز بقوة البحوث، وضخ المال الداعم لها، وتوظيف الباحثين المتمكنين فيها، وإعطاءها قدراً من الشهرة والانفتاح على الوسائل الإعلامية.

- ينبغي إحياء التراث الإسلامي، وإيجاد الجسور بينه وبين الجيل الحاضر والأجيال التالية كي يحقق معنى التواصل الإنساني في مسيرة الأمة ويجعل من نهضتها بناء متماسكًا، ومتناسقًا كل حلقة فيه تفضي لما يليها وكل عطاء فيه ركيزه لما فوقه، ومثل هذا الترابط في بنية الأمة بأفقه التاريخي يجعلها مستعصية على شتى محاولات الاختراق الهدام، ويمنحها حصانة ذاتية تحول بينها وبين أية عملية تسلل غربية إلى كيانها فتفسد تواصله وتمزق روابطه.

وفي الختام فإني أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن ينفع بهذا الجهد القاصر شباب المسلمين، وأن يكون عوناً لهم على تبيّن ما تخطه أيدي تلك الشخصيات فيأخذوا ما صفا ويدعو ما كدر.

وصل اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي الطبعة الثالثة ١٩٥١م الباب الحلبي.

٣. الأثر الأستشراقي في فكر محمد أركون دكتور محمد بن سعيد السرحاني.

٤. أثر العرف في فهم النصوص قضايا المرأة أنموذجًا رقية طه جابر العلواني.الناشر دار الفكر المعاصر بيروت.

٥. آراء أهل المدينة الفاضلة أبو النصر الفارابي مكتبة صبيح.

٦. الاستشراق أنور الجندي طبعة دار الاعتصام.

٧. الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق د/ إسماعيل علي محمد الطبعة الثالثة ١٤٢١ه ٢٠٠٠م الناشر دار الكلمة المنصورة.

٨. الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر دراسات تحليلية تقويمية د. محمد عبد الله الشرقاوي.

٩. الاستشراق والتبشير أطماع وأحقاد د. عبد السلام عبد السلام محمد عبده طبعة عام ١٩٩٧م.

١٠. الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية دكتور إبراهيم خليل أحمد.

١١. الأسس الفلسفية للحداثة دراسة نقدية مقارنة بين الحداثة والإسلام تأليف السيد صدر الدين القبانجي.

١٢. الإسلام أوربا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة محمد أركون ترجمة



هاشم صالح الناشر دار الساقي الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

١٣. الإسلام بين الرسالة والتاريخ عبد المجيد الشرفي الطبعة الأولى ٢٠٠١م الناشر دار الطليعة بيروت.

١٤. الإسلام والمستشرقون د. عبد الجليل شلبي الناشر دار الشعب القاهرة ١٩٧٧م.

١٥. الإسلام يتحدى "مدخل علمي للإيمان "وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان تقديم د.عبد الصبور شاهين طبعة عام ١٩٧٧م.

١٦. الإسلاميات التطبيقية ومهام العقل الاستطلاعي عبد المجيد خليقي مجلة الأزمة الحديثة العدد ٣ ،٤ سنة ٢٠١١م.

١٧. إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر مرزوق العمري الطبعة الأولى ١٤٣٣ه ٢٠١٢م دار الأمان الرباط.

١٨. أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي طبعة عام ١٣٤٦ه ١٩٢٨م.

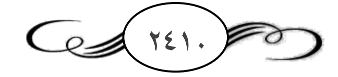
١٩. إعجاز القرآن للإمام القاضي أبي بكر الباقلاني طبعة البابي الحلبي.

٢٠. الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر جامعةالمدينة العالمية.

٢١. الآمدي وآراؤه الكلامية د/ حسن الشافعي الناشر دار السلام طبعة عام ١٩٨٨م.

٢٢. الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون كحيل مصطفى الطبعة الأولى ١٤٣٢ه، ٢٠١١م دار الأمان.

٢٣. الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي محمد أركون ترجمة د/ محمود عزب الطبعة الأولى ٢٠١٠م بيروت لبنان.



٢٤. أنسنة الوحي دراسة نقدية حسان القارى المجلد ٢٦ العدد الثاني ٢٠١٠م.

٢٥. أولويات في نقد القراءات المعاصرة للقرآن، نموذج محمد أركون عبد القادر محجوبي ضمن أعمال ملتقى أهل التفسير ملتقى الانتصار للقرآن.

٢٦. أوهام الحداثة قراءة في المشروع الأركوني علي حرب مجلة الاجتهاد ١٩٩٣م.

٢٧. ايمانويل كانت د/عبد الرحمن بدوي الطبعة الأولى وكالة المطبوعات الكويت.

٢٨. بين أركون والجابري في نقد العقل العربي الإسلامي قراءة تحليلية للأبعاد الفلسفية عبد الله المالكي.

٢٩. بين الدين والفلسفة د/ محمد يوسف موسى دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

٣٠. تارخية الفكر العربي الإسلامي محمد أركون الناشرالمركز الثقافي العربي الدار البيضاء.

٣١. تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم الناشر دار المعارف مصر ١٩٦٢م.

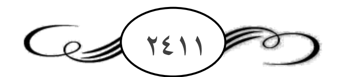
٣٢. تاريخ القرآن تيودور نولدكه ترجمة جورج تامر طبعة عام ٢٠٠٤م بيروت.

٣٣. التراث والحداثة دراسات ومناقشات محمد عابد الجابري مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى١٩٩١م.

٣٤. التشكيل البشري للإسلام محمدأركون ترجمة هاشم صالح الناشر المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

٣٥. تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير الناشر دار الكتب العلمية.

٣٦. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ج٣ الناشر دار الفكر



العربي القاهرة.

٣٧. التفسير الكبير تفسير فخر الرازي للإمام محمد الرازي فخر الدين الناشر دار الغد العربي.

٣٨. التفكير الفلسفي في الإسلام دكتور عبد الحليم محمود الطبعة الثانية دار المعارف.

٣٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام جعفر محمد بن جرير الطبري الناشر دار المعارف القاهرة ١٣٧٤ه.

٤٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري للإمام أبي محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ه.

٤١. الحجج البينات في إثبات النبوات د/ محمد عبد الصبور هلال طبعة عام ١٩٩٦م.

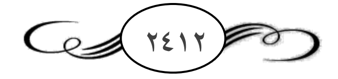
٤٢. الحداثة في منظور إيماني د/ عدنان علي رضا النحوي دار النحوي للنشر الرياض طبعة الثالثة عام ١٤٠٩ه ١٩٨٨م.

٤٣. الحداثة وفكر الاختلاف عبد القادر بودومة الطبعة الأولى ٢٠٠٣م الجزائر.

٤٤. الحداثة وما بعد الحداثة د/ عبد الوهاب المسري د/ فتحي التريكي الناشر دار الفكر بيروت الطبعة الثالثة ١٤٣١ه ٢٠١٠م.

٤٥. الحداثة وما بعد الحداثة محمد سبيلا الناشر دار البيضاء الطبعة الثالثة عام ٢٠٠٧م.

٤٦. الحداثيون والقرآن الكريم محمد أركون نموذجًا إبراهيم الطالب جريدة السبيل المغربية العدد ١١٣ عام ٢٠١١م.



٤٧. حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، علي حرب المركز الثقافي العربي بيروت طبعة عام ٢٠٠٤م.

٤٨. حضارة العرب جوستاف لوبون ترجمة زعيتر طبعة عام ١٣٩٩ه.

٤٩. الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي سليمان عشراتي طبعة عام ١٤١٨ه ١٩٩٨م ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

٥٠. الخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله دراسة نقدية صليحة عاشور أشغال الملتقى الدور الثالث في تحليل الخطاب الجزائر.

٥١. دراسات استشراقية وحضارية مركز الدراسات الإستشراقية والحضارية كلية الدعوة بالمدينة المنورة العدد الأول ١٤١٣ه١٩٩٣م.

٥٢. دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره د/ عبد الرحمن بدوي ترجمة كمال جاد الله دراسة وتقديم محمد عمارة.

٥٣. رسالة التوحيد الإمام محمد عبده.

٥٤. رسائل الكندي الفلسفية محمد عبد الهادي أبو ريدة طبعة عام ١٩٥٠م الناشر دار الفكر العربي.

٥٥. روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية طه عبد الرحمن الطبعة الأولى ٢٠٠٦ المركز الثقافي العربي.

٥٦. رؤية إسلامية للأستشراق أحمد عبد الحميد غراب طبعةعام١٤١١ه.

٥٧. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٨. سنن أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد.

٥٩. السيرة النبوية لابن هشام الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.



٦٠. شرح المواقف السيد الشريف الجرجاني الجزء الثامن طبعة عام ١٩٩٨م الناشر دار الكتب العلمية.

٦١. الشفاء في الإلهيات ابن سينا تحقيق د/ محمد يوسف موسى د/ سليمان دبنا طبعة عام ١٩٦٠م المطابع الأميرية القاهرة.

٦٢. صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى ٢٦١ه المطبعة المصرية.

٦٣. طه عبد الرحمن ونقد الحداثة بوزبرة عبد السلام الطبعة الأولى ٢٠١١م.

٦٤. الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ساسي سالم الحاج طبعة أولى مركز دراسات العالم الإسلامي مالطا ١٩٩١م.

٦٥. العرب والحداثة دراسة في مقالات الحداثيين عبد الإله بلقزيز مركز دراسات الوحدة العربية بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

٦٦. عصر الإلحاد لمحمد تقى الأميني الناشر دار غريب القاهرة.

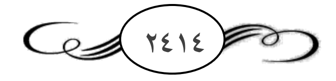
٦٧. العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب والجهود الفلسفية عند محمد أركون رون هالبير ترجمة جمال شحيد طبعة عام ٢٠٠١م.

٦٨. العقيدة والشريعة في الإسلام جولدزيهر الناشر دار الكتب الحديثة.

٦٩. العلمانيون والقرآن الكريم أحمد ادريس الطعان الطبعة الأولى ١٤٢٨ه ٢٠٠٧م.

٧٠. العلم والدين في الفلسفة المعاصرة أميل باترو ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ١٩٧٣م.

٧١. العلمنة والدين محمد أركون ترجمة هاشم صالح الطبعة الثالثة ١٩٩٦م دار الساقي بيروت.



٧٢. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق د.مهدي المخزومي الناشر دار الهلال.

٧٣. الغارة على التراث الإسلامي جمال سلطان الطبعة الأولى ١٤١٠ه ١٩٩٠م.

٧٤. فصوص الحكم أبو نصر الفارابي تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين طبعة عام ١٤٠٥ه مطبعة أمير.

٧٥. الفكر الاستشراقى تاريخه وتقويمه د. محمد الدسوقي الطبعة الأولى ١٤١٥ه١٩٩٥م.

٧٦. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي الناشر دار الفكربيروت.

٧٧. الفكر الإسلامي قراءة علمية محمد أركون ترجمة هاشم صالح الناشر المركز الثقافي العربي بيروت.

٧٨. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد محمد أركون ترجمة هاشم صالح المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

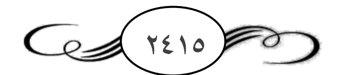
٧٩. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي محمد أركون ترجمة هاشم صالح الطبعة الأولى ١٩٩٩م دار الساقي.

٨٠. فلسفة الدين والتربية عند كانت د/ عبد الرحمن بدوي.طبعة المؤسسة العربية للدراسات عام ١٩٨٠م.

٨١. في ظلال القرآن أ/ سيد قطب الناشر دار الشروق.

٨٢. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د/ إبراهيم مدكور الجزء الأول الناشر مكتبة الدراسات الفلسفية.

٨٣. في المقاربة السيميائية د/ معجب محمد سعيد الزهراتي مقال في مجلة



علامات في النقد الأدبي مجلد ١ العدد ٢ عام ١٩٩١م.

٨٤. القاموس المحيط مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي.

٨٥. القراءة الحداثية للقرآن الكريم محمد أركون أنموذجًا، بلميهوب هند طبعة عام ١٤٣٦ه ٢٠١٥م اطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في النقد الحديث بالجزائر.

٨٦. القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب د/ عبد الرازق إسماعيل هرماس بدون طبعة.

٨٧. القرآن مقدس ولا مكان للقراءات التحريفية بدعوى التأويل حوار مع جريدة الوقت البحرينية د/ أحمد الطعان.

٨٨. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني محمد أركون ترجمة هاشم صالح الناشر دار الطليعة بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

٨٩. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى الناشر دار المعارف ١٩٧٧م.

٩٠. قصة النزاع بين الدين والفلسفة توفيق الطويل الطبعة الثانية طبعة دار مصر.

٩١. قضايا في نقد العقل الديني كيف تفهم الإسلام اليوم محمد أركون ترجمة هاشم صالح الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م دار الطليعة بيروت لبنان.

٩٢. القول السديد في علم التوحيد تأليف فضيلة الشيخ محمود أبو دقيقة تحقيق دكتور عوض الله حجازي الناشر الإدارة العامة لإحياء التراث القاهرة ١٩٩٥م.

٩٣. قوى الشر المتحالفة "الاستشراق والتبشير والاستعمار "تأليف فضيلة الشيخ.



محمد محمد الدهان الطبعة الأولى ١٤٢٦ه ١٩٨٦م الناشر دار الوفاء المنصورة.

٩٤. لسان العرب محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأفريقي الناشر دار احياء التراث العربي بيروت.

٩٥. محمد أركون المفكر والباحث والإنسان عبد الإله بلقزيز مركز دراسات الوحدة العربية لبنان الطبعة الأولى ٢٠١١م.

٩٦. محمد أركون والمنهج الألسني النقدي في دراسة الظاهرة القرآنية أحمد بوعود متاح على هذا الرابط : https://vb.tafsir.net/tafsir10102/#.WOP6XNIrLIU

٩٧. محمد أركون وعلمنة الإسلام عبد العزيز كحيل الناشر شبكة الألوكة قسم المقالات إشراف د.سعد بن عبدالله الحميد.

٩٨. محمد أركون ومشروعه النقدي محمد بوراس مجلة البيان العدد ١٧٩.

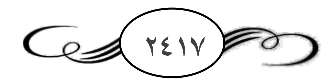
٩٩. محمد في مكة مونتجمري واط ترجمة شعبان بركات طبعة المكتبة العصرية بيروت.

١٠٠. مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي الناشر دار المعارف.

١٠١. مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين للإمام السلفي أبي عبدالله بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية الجزء الأول الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

١٠٢. مدخل إلى التنوير الأوربي، هاشم صالح طبعة عام ٢٠٠٥م.

١٠٣. مدخل إلى القرآن الكريم محمد عابد الجابري ج١ الطبعة الأولى ٢٠٠٦م



الناشر مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.

١٠٤. مدخل إلى القرآن د. محمد عبد الله دراز طبع دار القلم الكويت ط٣/١٩٨١.

١٠٥. مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم محمد خليفة حسن طبعة عام ١٤١٧ه ١٩٩٦م.

١٠٦. المدونة الالكترونية أحمد حمدي حسن حافظ ٢٠١٢م ويكبيديا الموسوعة الحرة.

١٠٧. المسألة الثقافية في الوطن العربي محمد عابد الجابري الناشر مركز دراسات الوحدة العربية بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

١٠٨. مشكلة الفلسفة زكريا إبراهيم طبعة مكتبة مصر.

١٠٩. مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن د/ عبد الرازق هرماس مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد ٣٨ عام ١٤٢٠ه١٩٩٩م.

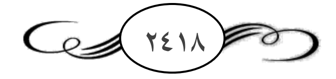
١١٠. معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية محمد أركون ترجمة هاشم صالح الطبعة الثانية عام ٢٠٠٢م دار الساقي بيروت.

١١١. معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني د/ عبد القادر محمد الحسين طبعة دار الغوثاني للدراسات القرآنية ١٤٣٣ه ٢٠١٢م دمشق.

١١٢. المعجم الفلسفي ابراهيم مدكور وآخرون مجمع اللغة العربية طبعة عام ١٩٨٣م المطابع الأميرية القاهرة.

١١٣. المعجم الفلسفي جميل صليبا ج٢ دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.

١١٤. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية جلال الدين سعيد الناشر دار الجنوب.



١١٥. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٢.

١١٦. المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر دار الدعوة القاهرة.

١١٧. المعنى القرآني بين التفسير والتأويل دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني لعباس أمير طبعة عام ٢٠٠٨م.

١١٨. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن نصر حامد أبو زيد الطبعة الأولى ٢٠١٤م الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاءالمغرب.

١١٩. مقاربات تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات د/ أحمد يوسف.متاح على هذا الرابط : https://boudramazaidi.blogspot.com/2016/01/Lanalysedu-discours-de-la-inguistique-a-la-semiotique.html

١٢٠. مقالات الكوثري الشيخ محمد زاهد الكوثري المكتبة التوفيقية القاهرة.

١٢١. من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام د. عبد المنعم فؤاد مطبعة دار الهلال١٤١٩ه١٩٩٨م.

١٢٢. مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية عبد الله خضر محمدالناشر دار القلم بيروت.

١٢٣. مناهل العرفان في علوم القرآن الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني الناشر دار إحياء الكتب العربية الطبعة الثالثة ١٣٧٢ه عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

١٢٤. من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ محمد أركون ترجمة هاشم صالح الناشر دار الساقي الطبعة الثانية ١٩٩٥م.



١٢٥. من مقال بعنوان الأدب العربي المعاصر لأدونيس ضمن أعمال مؤتمر روما الطبعة الأولى ١٩٦٢م منشورات أضواء باريس.

١٢٦. المنظور التأويلي في أعمال أركون محمد الطوالبة. الطبعة الأولى ٢٠١٦م

١٢٧. مواجهة المستشرقين بين رد الفعل السلبي وبين الفعل الإيجابي د.محمد سيد أحمد عامر.

١٢٨. الموسوعة العربية الميسرة محمد شفيق غربال ص الطبعة الثانية ١٣٩٩ه.

١٢٩. الموسوعة الفلسفية عبد المنعم الحنفي الطبعة الأولى ١٩٨٦م مكتبة مدبولي القاهرة.

١٣٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف دكتور مانع بن حماد الجهني ج٢ طبعة عام ١٤٢٠ه الناشر دار الندوة العالمية الرياض.

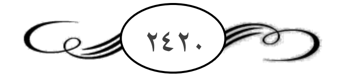
١٣١. موسوعة لالاند الفلسفية اندريه لالاند تعريب خليل أحمد خليل الطبعة الأولى ١٩٩٦م منشورات عويدات بيروت.

١٣٢. موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال.دراسة نقدية تحليلية محمد حجر القرني الطبعة الأولى ١٤٣٢ه.

١٣٣. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن د. محمد عبد الله دراز دار طيبة للنشر الطبعة الثانية ١٤٢١ه٢٠٠٠م.

١٣٤. نافذة على الإسلام محمد أركون ترجمة صياح الجهيم طبعة عام ١٩٩٦م الناشر دار عطية.

١٣٥. النجاة لابن سينا تحقيق محمد عثمان الطبعة الأولى ٢٠١٣م.



١٣٦. نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية محمد أركون ترجمة هاشم صالح الناشر دار الساقي بيروت ٢٠١١م.

١٣٧. نحو تقييم واستلهام جديدين للفكر الإسلامي، محمد أركون مجلة الفكر العربي المعاصر يصدرها مركز الإنماء القومي بيروت العدد٢٩ عام١٩٨٣م.

١٣٨. نزعة الأنسنة في الفكر العربي محمد أركون ترجمة هاشم صالح الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م الناشر دار الساقي بيروت.

١٣٩. نظرات شرعية في فكر منحرف سليمان صالح الخراش.

١٤٠. نظرات في حركة الاستشراق د. عبد الحميد مدكور ط عام١٤١٠هـ ١٩٩٠م دار الثقافة العربية.

١٤١. النظريات المادية في المعرفة روجيه جارودي تعريب إبراهيم قريط الناشر دار دمشق .

١٤٢. نظرية التلقي أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح الطبعة الأولى ٢٠٠١م المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

١٤٣. نظرية المعرفة الإشراقية وأثرها في النظرة إلى النبوة د. إبراهيم هلال ج١.

١٤٤. نقد الخطاب الديني نصر حامد أبو زيد الطبعة الثانية ١٩٩٤م سينا للنشر.

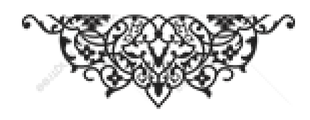
١٤٥. نقد النص علي حرب الناشر المركز الثقافي العربي المغرب الطبعة الثانية عام ١٩٩٥م.

١٤٦. نهاية الإقدام في علم الكلام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الناشر مكتبة المثنى بغداد.



١٤٧. الوحي في الأديان الثلاثة رسالة دكتوراه إعداد د. ليلى زكي قطب عام ١٤٠١ه ١٩٨١م.

١٤٨. الوحي المحمدي محمد رشيد رضا الطبعة الثانية الناشر مؤسسة عز الدين بيروت.



الفهرس

